التعليق المفيد

على

كتاب التوحيد

تأليف

فهد بن عبدالله التركي



الطبعة الأولى


بسم الله الرحمن الرحيم

التعليق المفيد

على

كتاب التوحيد

ح فهد عبدالله صالح التركي ، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

التركي ، فهد عبدالله صالح

التعليق المفيد على كتاب التوحيد / فهد عبدالله صالح التركي ، الرياض ، ١٤٢٧هـ

١٢٨ ص ؛ ١٧×٢٤ سم.

ردمك : ٦-٠٨٥-٥٦-٩٩٦٠

١- التوحيد أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٢٧/٣٧٧١

رقم الإيداع : ١٤٢٧/٣٧٧١

ردمك : ٦-٠٨٥-٥٦-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

رمضان / ١٤٢٧هـ



www.dar-almohadith.com

بريد إليكتروني : mail@dar-almohadith.com

الإدارة العامة / هاتف : ٤٧٣٦٢٦٤ / فاكس : ٤٧٣٦٢٦٤

المكتبة / هاتف: ٤٤٥٤٠٢٧ / فاكس : ٤٤٥٤٠٢٨

ص.ب. : ٤٢٢٢٥ الرياض١١٥٤١ المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وسع علمه كل وثيق وجليل، الهادي إلى سواء السبيل، وفق عباده المؤمنين للعمل لطاعته واتباع أمره واجتناب نواهيه، له الملك وله الحمد وله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين وقائد الغر المحجلين المبعوث رحمة للعالمين، محمد بن عبدالله وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فهذا تعليق كتبته على كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبد للشيخ الإمام الهمام العلامة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب عليه رحمة الله تعالى، أبين فيه مقاصد إيراد الشيخ محمد بن عبدالله للأبواب وكذا مقاصده في إيراد الآيات والأحاديث التي هي متضمنة لتلك الأبواب ممزوجة ببعض النكت العلمية النفيسة، التي أسأل الله جل وعلا أن ينفع بها.

هذا وقد استخلصت مادة هذا المكتوب من كتاب الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب حفيد المصنف رحمة الله على الجميع الكتاب الكبير الموسوم بـ «**تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد**» لكونه ذكر تلك المقاصد للمؤلف والتمسها، وهذا إلى ما وصل إليه رحمه الله تعالى من شرح ذلك الكتاب، لأنه من المعلوم أنه لم يكمل ذلك الكتاب وإنما أُكمل من شرح الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب (**فتح المجيد**) فإني نقلت فيما بعد منه.

وحيث لم أجد في بعض تلك الأبواب التي في فتح المجيد ذكر لمقصود المؤلف في الترجمة فإني نقلت ما لم أجده من كتاب **(القول السديد)** للعلامة عبدالرحمن بن سعدي رحمه الله، وحيث قلت : **(شيخ الإسلام)** فإني أقصد به أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، وحيث قلت **(المؤلف)** فإني أقصد به سليمان بن عبدالله رحمه الله صاحب الشرح، وحيث قلت **(المصنف)** فإني أقصد به الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

وقد ذكرت أرقام الصفحات للأبواب على طبعة المكتب الإسلامي لكتاب **(تيسير العزيز الحميد)**.

وسميت هذا المكتوب : **«التعليق المفيد على كتاب التوحيد»** أسأل الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجعله خالصاً لوجهه إنه سميع الدعاء وأن ينفع به.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله صحبه أجمعين.



بسم الله الرحمن الرحيم

١- كتاب التوحيد (ص٤٦)

لم يذكر المصنف رحمه الله مقدمة لهذا الكتاب المفيد القيم، بل اكتفى بدلالة الترجمة الأولى على مقصوده، فإنه صدَّره بقوله «**كتاب التوحيد**» وبالآيات التي ذكرها وما يتبعها مما يدل على مقصوده فكأنه قال: قصد جميع أنواع توحيد الألوهية التي وقع أكثر الناس في الأشراك فيها وهم لا يشعرون وبيان شيء مما يضاد ذلك من أنواع الشرك، فاكتفى بالتلويح عن التصريح.

* * *

قال: وقول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

أقول: الآية دالة على وجوب اختصاص الخالق تعالى بالعبادة دون سواه فتكون العبادة له وحده لا شريك له وهذا المعنى بعينه هو معنى ترجمة المصنف رحمه الله وهو معنى لا إله إلا الله.

* * *

قال: وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ .

دلت الآية على أن الحكمة من إرسال الرسل هو عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، وأن أصل دين الأنبياء واحد وهو الإخلاص في العبادة لله وإن اختلفت شرائعهم.

* * *

قال: قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

أن تعبدوه ولا تعبدوا غيره مما لا يملك ضراً ولا نفعاً بل هو إمّا فقير محتاج إلى رحمة ربه يرجوها كما ترجونها، وإمّا جماد لا يستجيب لمن دعاه.

* * *

قال: قوله ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا﴾ **حتى قوله** ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ابتدأ تعالى هذه الآيات المحكمات بتحريم الشرك والنهي عنه، فحرم علينا أن نشرك به شيئاً فشمل ذلك كل مشرك به، وكل مشرك فيه من أنواع العبادة؛ فإن ﴿شَيْئًا﴾ من النكرات فيعم جميع الأشياء وما أباح تعالى لعباده أن يشركوا به شيئاً فإن ذلك أظلم الظلم وأقبح القبيح.

* * *

قال: ابن مسعود «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ .. لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

تشبيهاً لها بالكتاب الذي كتب ثم ختم عليه فلم يزد فيه ولم ينقص؛ لأن النبي ﷺ كتبها وختم عليها وأوصى بها فإن النبي ﷺ لم يرض إلا بكتاب الله كما قال فيما رواه مسلم «**وإني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله**».

* * *

قال: وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنت رديف النبي ﷺ ... الحديث».

قال : قال الحافظ : اقتصر على نصي الإشراك لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء ويستدعي إثبات الرسالة باللزوم إذ من كذّب رسول الله فقد كذَب بالله ومن كذّب الله فهو مشرك.

والمقصود في الباب : الحث على إخلاص العبادة لله تعالى، وأنها **لا** تنتفي مع الشرك بل لا تسمى عبادة شرعاً وذكر معنى التوحيد الصحيح في الجملة ويأتي التفصيل.



٢- باب : فضل التوحيد وما يكفر الذنوب (ص٦٩)

لما ذكر المصنف معنى التوحيد ناسب ذكر فضله وتكفيره للذنوب ترغيباً منه وتحذيراً من الضد.

* * *

قال : وقول الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ .

فدلت على فضل التوحيد وتكفيره؛ لأن من أتى به تاماً فله الأمن التام والاهتداء التام ودخل الجنة بلا عذاب ومن أتى به ناقصاً بالذنوب التي لم يتب منها، فإن كانت صغائر كُفِرت باجتناب الكبائر لآية (النساء) و (النجم) وإن كانت كبائر فهو في حكم المشيئة إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه، وبذلك تظهر مطابقة الآية للترجمة.

* * *

قال : وعن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ «من شهد أن لا إله إلا الله... الحديث» أخرجاه.

فقرن بالشهادتين حقيقة الإيمان والتوحيد فيكون له من الأجر ما يرجح على سيئاته، ويوجب المغفرة والرحمة ودخول الجنة لأول وهلة.

* * *

قال : «ولهما من حديث عتبان : «فإن الله حرم على النار من قال ... الحديث».

وفي الحديث تحريم النار على أهل التوحيد الكامل.

* * *

قال وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى يا رب علمني شيئاً ... الحديث».

والحديث يدل على أن لا إله إلا الله أفضل الذكر، وذلك لما اشتملت عليه من توحيد الله الذي هو أفضل الأعمال وأساس الملّة ورأس الدين.

* * *

قال وللترمذي وحسنه عن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى يا ابن آدم لو أتيتني ... الحديث».

فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه، أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيماً وإجلالاً ومهابةً وخشيةً وتوكلاً، وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها وإن كانت مثل زبد البحر وربما قلبتها حسنات.

وفي هذه الأحاديث كثرة ثواب التوحيد وسعة كرم الله وجوده ورحمته حيث وعد عباده أن العبد لو أتاه بملء الأرض خطايا وقد مات على التوحيد فإنه يقابله بالمغفرة الواسعة التي تسع ذنوبه، وهذا هو مقصود إيراد المصنف لهذا الباب.



٣- باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وحقيقة ذلك هو انجذاب الروح إلى الله محبةً وخوفاً وإنابةً وتوكل ودعاء وإخلاصاً وإجلالاً وهيبة وتعظيماً وعبادة. وبالجملة فلا يكون في قلبه شيء لغير الله ولا إرادة لما حرم الله ولا كراهة لما أمر اللهأقول : ولما ذكر المصنف المتقدمين في التوحيد والآخر في فضله أراد هنا في هذا الباب أن يبيّن أهمية العمل ويحث عليه ويبيّن أهمية تطبيق هذا التوحيد الخالص.

* * *

قال : وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا...﴾ **الآية.**

مناسبة الآية للترجمة من جهة أن الله تعالى وصف المؤمنين السابقين إلى الجنات بصفات، أعظمها الثناء عليهم بأنهم لا يشركون شيئاً، فإن الأيمان النافع مطلقاً لا يوجد إلا بترك الشرك مطلقاً. ولما كان المؤمن قد يعرض له ما يقدح في إيمانه من شرك جلي أو خفي نفى عنهم ذلك ومن كان كذلك فقد بلغ من تحقيق التوحيد النهاية وفاز بأعظم التجارة ودخل الجنة بلا حساب ولا عذاب.

* * *

قال : وعن حصين بن عبدالرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : «أيكم...الخ الحديث»

ذكر الأصل الجامع الذي تفرعت عنه هذه الأفعال وهو التوكل على الله وصدق الالتجاء إليه، والاعتماد بالقلب عليه الذي هو خلاصة التفريد، ونهاية تحقيق التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف من المحبة

والخوف والرجاء والرضى به رباً إلهاً والرضى بقضائه بل ربما أوصل العبد إلى التلذذ بالبلاء وعدَّه من النعماء، فسبحان من يتفضل على من يشاء بما يشاء والله ذو الفضل العظيم.



٤- باب الخوف من الشرك (ص١١٤)

لما كان الشرك أعظم ذنب عُصي به الله، ولهذا رتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتب على ذنب سواه من إباحة دماء أهله وأموالهم وسبي نسائهم وأولادهم، وعدم مغفرته من بين الذنوب إلا بالتوبة منه؛ نبَّه المصنف بهذه الترجمة على أنه ينبغي للمؤمن أن يخاف منه ويحذره ويعرف أسبابه ومبادئه وأنواعه لئلا يقع فيه.

* * *

قال: وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ...﴾ **الآية.**

وهذا يوجب للعبد شدة الخوف من هذا الذنب الذي هذا شأنه عند الله وإنما كان كذلك لأنه أقبح القبيح وأظلم الظلم إذ مضمونه تنقيص رب العالمين وصرف خالص حقه لغيره، وعدل غيره به.

* * *

قال: وقال الخليل عليه السلام ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ .

فخاف من ذلك ودعا الله أن يعافيه وبنيه من عبادتها، فإذا كان إبراهيم عليه السلام يسأل الله أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام فما ظنك بغيره؟وهذا يوجب للقلب الحي أن يخاف من الشرك لا كما يقول الجهال إن الشرك لا يقع في هذه الأمة، ولهذا أمنوا الشرك فوقعوا فيه، هذا وجه مطابقة الآية للترجمة.

* * *

قال وفي الحديث «أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر فسئل عنه قال: الرياء».

فدل على أنه ينبغي للإنسان أن يخاف على نفسه الشرك الأكبر إذا كان الأصغر مخوفاً على الصالحين من الصحابة مع كمال إيمانهم فينبغي للإنسان أن يخاف الأكبر لنقصان إيمانه ومعرفته بالله، فهذا وجه إيراد المصنف له هنا مع أن الترجمة تشمل النوعين.

* * *

قال: وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار» رواه البخاري.

فمن جعل لله نداً فيما يختص به تعالى ويستحقه من الربوبية والألوهية دخل النار لأنه مشرك فإن الله تعالى هو المستحق للعبادة بذاته.

* * *

قال: ولمسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ... الحديث».

أقول: فبيَّن في هذين الحديثين مصير من لقي الله ومات على الشرك وأن مصيره النار، وأن من مات على التوحيد فإنه يدخل الجنة، فدل على خطر الإشراك بالله وعظم مغبته، وعلى فضل التوحيد كما تقدم.



٥- باب الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله (ص١٢٢)

نبَّه المصنف بهذه الترجمة على أنه لا ينبغي لمن عرف حقيقة التوحيد وفضله وحقيقة الشرك والخوف منه - أن يقتصر على نفسه كما يظن الجهال ؛ ويقولون : اعمل بالحق واترك الناس وما يعنيك من الناس - بل يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن كما كان ذلك شأن المرسلين وأتباعهم إلى يوم الدين وكما جرى للمصنف رحمه الله وأشباهه من أهل العلم.

وأعظم شيء يُبدأ بالدعوة إليه هو التوحيد وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

* * *

قال : وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ...﴾ **الآية .**

فأمر الله نبيّه ﷺ أن يخبر الناس أن هذه طريقته وسنته وهي الدعوة إلى ألا لا إله إلا الله على بصيرة ويقين وبرهان وأن أنزِّه الله على النديد والشريك كما قال ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ وهذا وجه مطابقة الآية للترجمة.

* * *

قال : وعن ابن عباس أن رسول الله لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : الحديث.

وفيه دليل على أن التوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه هو أول واجب، فلهذا كان أول ما دعت إليه الرسل عليهم السلام كما قال تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن

رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ .

* * *

قال : ولهما عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر «لأعطين الراية غداً... الحديث».

وفي الحديث فضيلة الدعوة إلى الله والدعوة إلى الإسلام الذي هو معنى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ومن هذا الوجه طابق الحديث الترجمة.



٦- باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله (ص١٣٩)

لما ذكر المصنف في الأبواب السابقة التوحيد وفضائله والدعوة إليه والخوف من ضده وهو الشرك، فكأن النفوس اشتاقت إلى معرفة هذا الأمر الذي خلقت له الخليقة والذي بلغ من شأنه عند الله أن من لقيه به غفر له، وإن لقيه بملء الأرض خطايا ؛ بيَّن رحمه الله في هذا الباب أنه ليس اسماً لا معنى له، أو قولاً لا حقيقة لهَ كما يظنه الجاهلون الذين يظنون أن غاية التحقيق فيه هو النطق بكلمة الشهادة من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني.

وحاصل التوحيد : هو البراءة من عبادة كل ما سوى الله، والإقبال بالقلب والعبادة على الله وذلك هو معنى الكفر بالطاغوت والإيمان بالله وهو معنى لا إله إلا الله.

❊ ❊ ❊

قال : وقول الله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ...﴾ **الآية.**

قال جميع المفسرين : فتبيّن أن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله هو ترك ما عليه المشركين من دعوة الصالحين والإستشفاع بهم إلى الله في كشف الضر وتحويله فكيف ممن أخلص لهم الدعوة، وأنه لا يكفي في التوحيد دعواه والنطق بكلمة الشهادة من غير مفارقة لدين المشركين وأن دعاء الصالحين لكشف الضر أو تحويله هو الشرك الأكبر.

❊ ❊ ❊

قال: وقوله: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ **الآية.**

فتبيّن هذا أن معنى لا إله إلا الله هو البراءة مما يعبد من دون الله وإفراد الله بالعبادة وذلك هو التوحيد، لا مجرد الإقرار بوجود الله وملكه وقدرته وخلقه لكل شيء، فإن هذا يقر به الكفار وذلك هو معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ فاستثنى من المعبودين ربه وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي شهادة أن لا إله إلا الله.

* * *

قال: وقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ...﴾ **الآية.**

مراد المصنف رحمه الله بإيراد الآية هذا أن الطاعة في تحريم الحلال وتحليل الحرام، من العبادة المنفية من غير الله تعالى، ولهذا فسرت العبادة بالطاعة وفسر الإله بالمعبود المطاع، ممن أطاع معبوداً في ذلك فقد عبده إذ معنى التوحيد وشهادة ألا إله إلا الله يقتضي إفراد الله بالطاعة وإفراد الرسول بالمتابعة وهذا أعظم ما يبين التوحيد وشهادة ألا إله إلا الله، لأنها تقتضي نفي شرك الطاعة.

* * *

قال: وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ...﴾ **الآية.**

مراده أن معنى التوحيد وشهادة ألا إله إلا الله هو إفراد الله بأصل الحب الذي يستلزم إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، فمن أشرك بالله تعالى في ذلك فهو مشرك. وقد أخبر الله عن المشركين أنهم يقولون لآلهتهم يوم القيامة ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ومعلوم أنهم ما ساووهم بالخلق والرزق والملك وإنما

ساووهم بالمحبة والطاعة والالهية والتعظيم.

* * *

قال وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله ... الحديث».

قال المصنف: وهذا من أعظم ما يبيّن معنى لا إله إلا الله فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع التلفظ بها، بل ولا الإقرار بذلك بل ولا كونه لا يدعوا إلا الله وحده لا شريك له بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو تردد لم يحرم ماله ولا دمه، فيا لها من مسألة ما أجلها ويا له من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع.

* * *

قوله: وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

يعني أن ما يأتي من بعد هذه الترجمة من الأبواب شرح للتوحيد وشهادة ألا إله إلا الله.



٧- باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه (ص١٥٢)

من هنا ابتدأ المصنف رحمه الله في تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله بذكر شيء مما يضاد ذلك من أنواع الشرك الأكبر والأصغر فإن الضد لا يعرف إلا بضده، وابتدأ بالشرك الأصغر انتقالاً من الأدنى إلى الأعلى.

* * *

قال: وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ...﴾ **الآية.**

فلا يقدر أحد على كشف ضر ولا إمساك رحمة، وإذا كان كذلك بطلت عبادتهم من دون الله وإذا بطلت عبادتهم فبطلان دعوة الآلهة والأصنام أبطل وأبطل، ولبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه كذلك، فهذا وجه استدلال المصنف بالآية، وإن كانت الترجمة في الشرك الأصغر فإن السلف يستدلون بما نزل في الأكبر على الأصغر.

* * *

قال: وعن عمران بن حصين أن النبي رأى رجلاً في يده حلقة من صفر ...الحديث رواه أحمد بسند لا بأس به.

أمره بطرحها عنه وأخيراً أنها لا تنفعه بل تضره، وفي الحديث النهي عن تعليق الحرز والحلق ونحوهما على المريض أو غيره وأنه إذا فعل ذلك والحالة هذه فهو مشرك.

* * *

قال: وله عن عقبة بن عامر مرفوعاً «من تعلق بتميمة ... الحديث» وفي رواية: «من تعلق بتميمة فقد أشرك».

وهذا دعاء عليه، فيه وعيد شديد لمن فعل ذلك فإنه مع كونه مشركاً فقد دعا عليه رسول الله ﷺ بنقيض مقصوده.

* * *

قال: ولابن حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم...﴾ الآية.

فيه إنكار هذا، وإن كان يعتقد أنه سبب فإن الأسباب لا يجوز منها إلا ما أباحه الله ورسوله ﷺ، مع عدم الاعتماد عليه، فكيف بما هو شرك كالتمائم والخيوط والحرز والطلاسم ونحو ذلك مما يعلقه الجهال؟

ومعنى الآية أن الله أخبر عن المشركين أنهم يجمعون بين الإيمان بالله وأنه الخالق الرازق المحيي المميت ثم مع ذلك يشركون في عبادته.



٨- باب ما جاء في الرقى والتمائم (ص١٦٢)

ولما كانت الرقى على ثلاثة أقسام، قسم يجوز وقسم لا يجوز، وقسم في جوازه خلاف، لم يجزم المصنف بكونها من الشرك لأن في ذلك تفصيلاً.

* * *

قال: في الصحيح: عن أبي بشير الأنصاري «أنه كان مع النبي ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً ... الحديث».

وعلى هذا يكون تقليد الإبل وغيرها الأوتار وما في معناها لئلا تصيبها العين حراماً، بل شركاً لأنه من تعليق التمائم المحرمة ومن تعلق تميمة فقد أشرك.

* * *

قال: وعن ابن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الرقي والتمائم والتولة شرك» رواه أحمد وأبو داود.

قال المصنف: الرقي هي التي تسمى العزائم...إلخ.

يشير إلى أن الرقي الموصوفة بكونها شركاً هي الرقي التي فيها شرك من دعاء غير الله ونحوه .. والتمائم توضع لدفع العين وهذا منهي عنه لأنه لا دافع إلا الله ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وأسمائه وصفاته ... والتولة ضرب من السحر وإنما كان ذلك من الشرك لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من غير الله.

* * *

قال: وعن عبدالله بن عكيم مرفوعاً «من تعلق شيئاً

وكل إليه» رواه أحمد والترمذي.

والتعلق يكون بالقلب ويكون بالفعل ويكون جميعاً والمعنى : من تعلق شيئاً بقلبه أو بفعله وقلبه وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلقه، فمن تعلق بالله كفاه الله كل مؤنة ومن تعلق بغيره وكله الله إليه وخذله.

❊ ❊ ❊

قال : وروى الإمام أحمد عن رويفع قال : قال لي رسول الله ﷺ : «يا رويفع، ... الخ».

قال النووي : أي بريء من فعله وقال بهذه الصيغة ليكون أبلغ وأزجر في النهي عن هذه الأفعال المذكورة في الحديث.

❊ ❊ ❊

قال : وعن سعيد بن جبير قال : «من قطع تميمة من إنسان ... الخ» رواه وكيع.

فيه فضل قطع التمائم لأنها من الشرك.

❊ ❊ ❊

قال : وله عن إبراهيم : كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن ومن غير القرآن. يعني أصحاب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وهذه صيغة حكايته عنهم.



٩- باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

أي ما حكم ذلك ؟!

* * *

قال : وقول الله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ﴾ **الآيات إلى قوله** ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ .

ووجه مطابقة الآيات للترجمة أن التبرك بالشجر والحجر والقبور وإن كان من الشرك الأكبر فإن الآيات نص صريح في النهي عن ذلك وإن كان من الشرك الأصغر فأن السلف يستدلون بما نزل في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر.

* * *

قال : وعن أبي واقد الليثي قال : «خرجنا مع رسول الله ﷺ ... الحديث» رواه الترمذي وصححه.

وفي هذا الحديث أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور الأحجار من التبرك بها والعكوف عندها ، والذبح لها ، هو الشرك.



١٠- باب ما جاء في الذبح لغير الله (ص١٨٧)

أي من الوعيد، وهل يكون شركاً أم لا ؟!

❊ ❊ ❊

قال : وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **الآية.**

في الآية دلائل متعددة على أن الذبح لغير الله شرك، كما هو بيّن عند التأمل وفيها بيان العبادة، وأن التوحيد منافٍ للشرك مضاد له.

❊ ❊ ❊

قال : وقوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾

أي فاعبد ربك الذي أعزك بإعطائك، وشرفك وصانك من منة الخلق مرغماً لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفاً لهم في النحر للأوثان.

❊ ❊ ❊

قال : وعن علي رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : «لعن الله من ذبح لغير الله ... الحديث» رواه مسلم وأحمد.

قال النووي : كمن يذبح للصنم أو لموسى أو لعيسى صلى الله عليهما وسلم أو للكعبة ونحو ذلك، وكل هذا حرام، ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً نص عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا فأن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة له، كان ذلك كفراً.

❊ ❊ ❊

قال: وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب ... الحديث» رواه أحمد.

في هذا بيان عظمة الشرك ولو في شيء قليل، وأنه يوجب النار، ألا ترى إلى هذا لما قرّب لهذا الصنم أرذل حيوان وأخسه وهو الذباب كان جزاءه النار، لإشراكه في عبادة الله إذ الذبح على سبيل القربة والتعظيم عبادة.



١١- باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله (ص١٩٦)

فإن ذلك لا يجوز.

❊ ❊ ❊

قال : وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ....﴾ **الآية.**

ووجه الدلالة من الآية على الترجمة من جهة القياس، لأنه إذا منع الله رسوله ﷺ عن القيام لله تعالى في هذا المسجد المؤسس على هذه المقاصد الخبيثة مع أنه لا يقوم فيه إلا الله، فكذلك المواضع المعدة للذبح لغير الله لا يذبح فيها الموحد لله، لأنها قد أسست على معصية الله والشرك به.

❊ ❊ ❊

قال : وعن ثابت بن الضحاك : قال نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانه فسأل النبي ﷺ فقال : «هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ ... الحديث» رواه أبو داود وإسناده على شرطهما.

هذا يدل على أن الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه المشركون لغير الله، أو في محل أعيادهم معصية.



١٢- باب من الشرك النذر لغير الله (ص٢٠٣)

لما كان النذر عبادة يُتقرب بها إلى الله عز وجل ؛ كان صرف النذر لغير الله شركاً فإذا نذر طاعة وجب عليه الوفاء بها وهو عبادة، وقربة إلى الله. ولهذا مدح الله الموفين به، فإن نذر المخلوق تقرباً إليه ليشفع له عند الله، ويكشف ضره ونحو ذلك فقد أشرك مع الله في عبادته.

* * *

قال : ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ....﴾ **الآية.**

وجه الدلالة من الآية على الترجمة أن الله تعالى أخبر بأن ما أنفقناه من نفقة أو نذرناه من نذر متقربين بذلك إليه أنه يعلمه، ويجازينا عليه فدل ذلك أنه عبادة، وبالضرورة يدري كل مسلم أن من صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فقد أشرك.

* * *

قال : وفي الصحيح عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعص الله فلا يعصه» رواه البخاري.



١٣- باب من الشرك الاستعاذة بغير الله (ص٢٠٩)

قال ابن كثير : الاستعاذة هي الإلتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر. والعياذ يكون لدفع الشر واللياذ لطلب النجدة، فتبين بهذا أن الاستعاذة بالله عبادة لله. وهذه العبادة من أجلِّ العبادات بل هو من حقائق توحيد الألوهية، فإن استعاذ بغيره فهو عابد لذلك الغير، مشرك بالله.

* * *

قال : وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ .

وجه الاستدلال على الترجمة أن الله حكى عن قوم من الجن أنهم لما تبين لهم دين الرسول ﷺ آمنوا به، ذكروا أشياء من الشرك كانوا يعتقدونها في الجاهلية، من جملتها الاستعاذة بغير الله . . . وقد أجمع العلماء على أن الاستعاذة بغير الله لا تجوز.

* * *

قال : وعن خولة بنت حكيم السلمية قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من نزل منزلاً ... الحديث» رواه مسلم.

هذا ما شرعه الله لأهل الإسلام أن يستعينوا به بدلاً عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة من الجن، فشرع الله للمسلمين أن يستعيذوا به أو بصفاته.



١٤- باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره (ص٢١٤)

قال شيخ الإسلام: الاستغاثة طلب الغوث. وقال غيره الفرق بين الاستغاثة والدعاء أن الاستغاثة لا تكون إلا من الكروب والدعاء أعم من الاستغاثة لأنه يكون من المكروب وغيره. والاستغاثة والدعاء عبادة لا يجوز صرفها إلا لله، بل إن الدعاء من أجل العبادات وأكرمها، فإن لم يكن الإشراك فيه شركاً فليس في الدنيا شرك، فالشرك في الدعاء أول أن يكون شركاً من الأشراك في غيره من أنواع العبادات.

* * *

قال: وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّالِمِينَ﴾ **الآيتين.**

حاصل كلام المفسرين أن الله تعالى نهى رسوله ﷺ أن يدعو من دونه ما لا ينفعه ولا يضره، والمراد به كل ما سوى الله، فإنهم لا ينفعون ولا يضرون وسواء في ذلك الأنبياء والصالحون وغيرهم.

* * *

قال: وقوله: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾.

في الآية رد على المشركين الذين يدعون غير الله ليشفعوا لهم عنده في جلب الرزق فما ظنك بمن دعاهم أنفسهم، واستغاث بهم ليرزقوه ولينصروه كما هو الواقع في عباد القبور؟ وقال المصنف: وفيه أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه.

* * *

قال : وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ **الآيتين.**

حاصل كلام المفسرين : أن الله تعالى حكم بأنه لا أضل ممن يدعو من دون الله لا دعاء عبادة ودعاء مسألة واستغاثة كمن هذه حاله.

ومعنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالاً ممن عبد غير الله ودعاه، حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه من لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم ما دام في الدنيا إلى أن تقوم القيامة، ومع هذا يكونون لهم يوم القيامة أعداء.

* * *

قال : وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ .

يقرر تعالى أنه الإله الواحد الذي لا شريك له ولا معبود سواه، فمتى جاء الاضطرار رجعت القلوب إلى الفطرة، فالتجأت إليه وأنابت إليه وحده لا شريك له كما قال تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ فتبين أن من اعتقد في غير الله أنه يكشف السوء أو يجيب المضطر، أو دعاه لذلك فقد أشرك شركاً أكبر من شرك العرب كما هو الواقع في عباد القبور.

* * *

قال : وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق ... الحديث.

المراد بذلك الإرشاد إلى حسن اللفظ والحماية منه ﷺ لجناب التوحيد، وتعظيم الله تبارك وتعالى؛ لأن استغاثتهم به ﷺ من الأمور التي يقدر عليها إمّا بزجره أو تعزيره ونحو ذلك، فإذا كان هذا كلامه

ﷺ في الاستغاثة به فيما يقدر عليه فكيف بالاستغاثة به أو بقبره في الأمور المهمة التي لا يقدر عليها أحد إلا الله.

وقد تبين بما ذكر في هذا الباب وشرحه من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء أن دعاء الميت والغائب والحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله والاستغاثة بغير الله في كشف الضر أو تحويله، هو الشرك الأكبر بل هو أكبر أنواع الشرك.



١٥- باب قول الله تعالى : ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (ص٢٥٠)

المراد بهذه الترجمة بيان حال المدعوين من دون الله أنهم لا ينفعون ولا يضرون، وسواء في ذلك الملائكة والأنبياء والصالحون والأصنام، فكل من دُعي من دون الله فهذه حاله.

قال المؤلف على هذه الآية : ومن هذه حاله فهو غاية العجز فكيف يكون إلاهاً معبوداً ؟! وجميع الأنبياء والملائكة والصالحين وغيرهم داخلون في هذه الأوصاف، فلا يقدر أحد منهم أن يخلق شيئاً ولا يستطيعون لمن عبدهم نصراً ولا ينصرون أنفسهم وإذا كانوا كذلك بطلت دعوتهم من دون الله.

* * *

قال : وقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ .

حاصل كلام المفسرين : أنه تعالى يخبر عن حال المدعوين من دونه من الملائكة والأنبياء والأصنام وغيرهم بما يدل على عجزهم وضعفهم وأنهم قد انتفت عنهم الشروط التي لا بد أن يكون في المدعو وهي الملك وسماع الدعاء والقدرة على الاستجابة فمتى عُدم شرط بطل أن يكون مدعواً فكيف إذا عُدمت كلها، وهنا نفى عنهم الملك بقوله ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ .

* * *

قال : وفي الصحيح : عن أنس : قال شج النبي ﷺ يوم أحد فقال : «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟» ... الحديث.

المعنى أن الله تعالى مالك أمرهم، فإمّا أن يهلكهم أو يكبتهم أو يتوب عليهم إن أسلموا، أو يعذبهم إن أصروا، وليس لك من أمرهم شيء، إنما أنت عبد مأمور بإنذارهم وجهادهم.

* * *

قال: وفيه عن ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر ... الحديث.

وفي رواية: يدعوا على صفوان ... الحديث.

مع كل ما فعله المشركون يوم أحد، لم يقدر النبي ﷺ أن يدفعهم عن نفسه ولا عن أصحابه بل لجأ ﷺ إلى ربه المالك القادر على النفع والضر بإهلاكهم، ودعا عليهم ﷺ في الصلاة المكتوبة جهراً وخلفه سادات الأولياء يؤمنون على دعاءه، ومع هذا كله ما استجاب الله له فيهم، بل تاب عليهم وآمنوا فلو كان عنده ﷺ من النفع والضر شيء لكان يفعل بهم ما يستحقونه على هذه الأفعال العظيمة.

* * *

قال: وفيه عن أبي هريرة قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ ... الحديث

فبين ﷺ أنه لا ينجيهم من عذاب الله ولا يدخلهم الجنة ولا يقربهم إلى الله وإنما الذي يقرب إلى الله ويدخل الجنة وينجي من النار برحمته هو طاعته سبحانه.

فإذا صرّح وهو سيد المرسلين لأقاربهم المؤمنين وغيرهم أنه لا يملك لأحد ضراً ولا نفعاً؛ فما بالك بغيره من الصالحين والأنبياء الذين هم دونه في الرتبة والفضل.



١٦- باب : قول الله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ (ص٢٦٣)

أراد المصنف بهذه الترجمة بيان حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم من عبد من دون الله، فإذا كان هذا حالهم مع الله تعالى، وهيبتهم منه، وخشيتهم له، فكيف يدعوهم أحد من دون الله ؟ فإذا كانوا لا يدعون مع الله تعالى لا استغلالاً ولا وساطة بالشفاعة، فغيرهم ممن لا يقدر على شيء أوى ألّا يُدعى.

* * *

قال : في الصحيح : عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ... الحديث».

قال : وعن النواس بن سمعان قال : قال رسول الله ﷺ «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي ... الحديث» رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن خزيمة.

فإذا كان هذا حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم مما عبد من دون الله، وشدة خشيتهم من الله، وهيبتهم له، مع ما أعطاهم الله من القوة العظيمة التي لا يعلمها إلا الله ومع هذا فقد نفى عنهم الشفاعة بغير إذنه، وأنهم لا يملكون كشف الضر عمن دعاهم ولا تحويله فكيف يدعوهم المشرك ويظن أنهم يشفعون عند الله، وإذا بطلت دعوة الملائكة فبطلان دعوة غيرهم أولى.



١٧- باب الشفاعة (ص٢٧٣)

أراد المصنف في هذا الباب إقامة الحجج على أن الشفاعة التي يتعلق بها المشركون أنها عين الشرك، وأن الشفاعة التي يظنها من دعا غير الله ليشفع له كما يشفع الوزير عند الملك منتفية دنيا وأخرى، وإنما الله هو الذي يأذن للشافع ابتداءً، لا يشفع ابتداء كما يظنه أعداء الله.

* * *

قال: وقول الله عز وجل ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾.

نفى سبحانه وتعالى عن المؤمنين أن يكون لهم ولي أو شفيع من دون الله كما هو دين المشركين، فمن اتخذ من دون الله شفيعاً فليس من المؤمنين ولا تحصل له الشفاعة، ففيها دليل على نفي اتخاذ الشفعاء من المؤمنين وعلى نفيها بغير إذن الله، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع.

* * *

قال: وقوله ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾

المعنى: أنه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع أحد شفاعة إلا بإذنه، ولا يشتغل بها.

* * *

قال: وقوله ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾

في هذه الآية ردٌ على المشركين الذين اتخذوا الشفعاء من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام المصورة على صور الصالحين

وغيرهم وظنوا أنهم يشفعون عنده بغير إذنه فأنكر ذلك عليهم، وبين عظم ملكوته وكبريائه وأن أحداً لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له في الكلام.

❊ ❊ ❊

قال : وقوله ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ .

في هذه الآيات من الرد على من عبد الملائكة والصالحين لشفاعة أو غيرها ما لا يخفى، لأنهم إذا كانوا لا يشفعون إلا بإذن من الله ابتداءً، للأي معنى يدعون ويعبدون؟! وأيضاً فإن الله لا يأذن إلا لمن ارتضى قوله وعمله وهو الموحد لا المشرك.

❊ ❊ ❊

قال : وقوله ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ **الآيتين**

وقال أبو العباس : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عوناً له، ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ .

❊ ❊ ❊

قال : قال أبو العباس : فنفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ... الخ.

قال ابن القيم رحمه الله : فلا يشفع أحد عند الله إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله، كما قال تعالى في الفصل الأول : ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ وقال في الفصل الثاني :

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ وبقي فصل ثالث وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده وإتباع رسوله ﷺ، فهذه ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها.



١٨- باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ (ص٢٩٨)

أراد المصنف رحمه الله الرد على عباد القبور الذين يعتقدون في الأنبياء والصالحين أنهم ينفعون ويضرون وغير ذلك فيسألونهم مغفرة الذنوب، وتفريج الكروب، وهداية القلوب، وغير ذلك من أنواع المطالب الدنيوية والأخروية، ويعتقدون أن لهم التصرف بعد الموت على سبيل الكرامة.

* * *

قال: وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه: قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه النبي ﷺ ... الحديث.

فلو كان عند النبي ﷺ من هداية القلوب، وتفريج الكروب شيء، لكان أحق الناس بذلك وأولاهم عمه الذي فعل معه ما فعل.



١٩- باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين (ص٣٠٥)

لما ذكر المصنف رحمه الله بعض ما يفعله عباد القبور مع الأموات من الشرك، أراد أن يبين السبب في ذلك ليُحذر، وهو الغلو مطلقاً لا سيما في الصالحين، فإنه أصل الشرك قديماً وحديثاً لقرب الشرك بالصالحين من النفوس، فإن الشيطان يظهره في قالب المحبة والتعظيم.

* * *

قال: وقول الله عز وجل: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾

فنهاهم عن الغلو في الدين ونحن كذلك كما قال تعالى ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

* * *

قال: وفي الصحيح عن ابن عباس: في قول الله تعالى ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ الخ.

فهذا هو السبب في عبادة هؤلاء الصالحين، وهو رجاء شفاعتهم وكذلك هو السبب في عبادة صورهم وهذه هي الشبهة التي ألقاها الشيطان على المشركين الأولين والآخرين، وقد بين الله ذلك في القرآن بياناً شافياً.

* * *

قال: وقال ابن القيم: وقال غير واحد من السلف لما ماتوا ... الخ.

فتبيّن أن مبدأ الشرك بالصالحين هو الغلو، وهو أصل عبادة

الأصنام فإنهم لما عظموا الأموات تعظيماً مبتدعاً، فصوروا صورهم، وتبركوا بها فآل الأمر إلى أن عبدت الصور.

* * *

قال: وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى...الحديث» أخرجاه.

أي: لا تجاوزا الحد في مدحي أو لا تمدحوني بالباطل كما غلت النصارى في عيسى، فادعوا فيه الربوبية، فقطع الرسول ﷺ هذا السبب الموصل إلى الشرك كما قطع أسباب الشرك في جميع الجهات.

* * *

قال: قال رسول الله ﷺ «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

قال شيخ الإسلام: هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال، وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو داخل فيه، مثل الرمي بالحجارة الكبار بناءً على أنه أبلغ من الصغار ثم علله بما يقتضي فيما فيه هديهم.

* * *

قال: ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً.

قال هذه الكلمة ثلاث مرات، مبالغة في التحذير والتعليم، فصلوات الله وسلامه عليه، فما ترك شيئاً يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا أخبرنا به وإنما ضل الأكثرون بمخالفة هذه الأحاديث وما في معناها، فغلوا وتنطعوا فهلكوا ولو اقتصروا على ما جاءهم من ربهم على يدي رسول الله ﷺ لسلموا وسعدوا ..

٢٠- باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده ؟! (ص٣١٩)

لما كان عباد القبور إنما فعلوا ذلك من حيث ظنوا أنهم محسنون، فرأوا أن أعمالهم القبيحة حسنة، كما قال تعالى ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾، نوّع المصنف التحذير من الافتتان بالقبور، وأخرجه أبواباً مختلفة ليكون أوقع في القلب، وأحسن في التعليم، وأعظم في الترهيب، فإذا كان قصد قبور الصالحين لعبادة الله عندها فيه من النهي والوعيد ما فيه مما سيمر خلال هذا الفصل؛ فكيف بعبادة أربابها من دون الله واعتيادها لذلك في اليوم والأسبوع والشهر عدة مرات.

* * *

قال: في «الصحيح» عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة وما فيها... الحديث.

فهؤلاء جمعوا بين فتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل.

فهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور، وهي التي أوقعت كثيراً من الأمم في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك وهي عبادة القبور والسجود لأربابها ودعاءهم؛ فلأجل هذه المفسدة حسم النبي ﷺ حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقاً وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المسجد.

* * *

قال: ولهما عنها قالت: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة ... الحديث.

لعنهم ﷺ على هذا الفعل بعينه وهو اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، وإن لم يسموها مساجد فإن الاعتبار بالمعنى لا بالاسم، ومثل ذلك القباب والمشاهد المبنية على قبورهم وإن لم يسمها من بناها مساجد. وفيه ردٌّ على من أجاز البناء على قبور العلماء والصالحين تمييزاً لهم عن غيرهم فإذا كان ﷺ لعن من بنى المساجد على قبور الأنبياء، فكيف بمن بناها على قبور غيرهم ؟!

* * *

قال : ولمسلم : عن جندب بن عبدالله قال : سمعت النبي ﷺ يقول : إني أبرأ إلى الله أن يكون لي ... الحديث.

ثم قال : فقد نهى عنه وهو في آخر حياته ثم إنه لعن وهو في السياق . . . الخ

في كلام المصنف هذا الأخير : أن الصلاة عند القبور وإليها من اتخاذها مساجد، الملعون من فعله، وإن لم يبن مسجداً، فتحرم الصلاة في المقبرة وإلى القبور، بل لا تنعقد أصلاً لما في هذه الأحاديث الصحيحة وغيرها، من لعن من اتخذها مساجد.

وفي حديث جندب : العبرة في مبالغته ﷺ في النهي عن بناء المساجد على القبور، كيف بيّن لهم ذلك أولاً، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في النزع لم يكتف بما تقدم، بل لعن من فعل ذلك، فدلت هذه الأحاديث الصحيحة الصريحة على تحريم البناء على القبور مطلقاً.

* * *

قال : ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعاً «إن من شرار الناس ... الحديث».

كل ذلك شفقة على الأمة وخوفاً عليهم أن يقودهم ذلك إلى الشرك بها وبأصحابها، كما قاد إلى ذلك اليهود والنصارى.

وقد أجمع العلماء على النهي عن البناء على القبور ووجوب هدمه لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة، ولا فرق في ذلك بين البناء في مقبرة مسبّلة أو مملوكة إلا أنه في المملوكة أشد، ولا غيره بمن شذ من المتأخرين فأباح ذلك إما مطلقاً وإما في المملوكة.



٢١- باب أن الغلو في قبور الصّالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله (ص٣٣٨)

أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة أموراً :

الأول : التحذير من الغلو في الصالحين.

الثاني : أن الغلو يؤول إلى عبادتها.

الثالث : أنها إذا عبدت سميت أوثاناً ولو كانت قبور الصالحين.

الرابع : التنبيه على العلة في المنع من البناء عليها واتخاذها مساجد.

* * *

قال : روى مالك في «الموطأ» أن رسول الله ﷺ قال : «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد... الحديث».

دل الحديث على أن قبر الرسول ﷺ لو عبد لكان وثناً فما ظنك بقبر غيره من القبور التي عبدت هي وأربابها من دون الله.

يؤخذ من الحديث المنع من تتبع آثار الأنبياء والصالحين كقبورهم ومجالسهم، ومواضع صلاتهم للصلاة، والدعاء عندها ؛ فإن ذلك من البدع.

وفي قوله : «**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» فهذه الجملة بعد الأولى تنبيه على سبب لحوق اللعن بهم، وهو توسلهم بذلك إلى أن تصير أوثاناً تعبد. ففيه إشارة إلى ما ترجم له المصنف.

* * *

قال : ولابن جرير : عن سفيان عن منصور عن مجاهد ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ قال: كان يلت السويق ... الخ.

وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس : كان يلت ... الخ.

فقد رأيت أن سبب عبادة اللات هو الغلو في قبره حتى صار وثناً يعبد كما كان ذلك هو السبب في عبادة الصالحين من الأموات وغيرهم.

وبالجملة : فالغلو أصل الشرك في الأولين والآخرين إلى يوم القيامة وقد أمرنا الله تعالى بمحبة أوليائه وإنزالهم منازلهم من العبودية، وسلب خصائص الألوهية عنهم، وهذا غاية تعظيمهم وطاعتهم، ونهانا عن الغلو فيهم.

* * *

قال : وعن ابن عباس قال : «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسُّرج» رواه أهل السنن.

ووجه إيراد المصنف هذا الحديث في هذا الباب دون الذي قبله هو أنه لعن المتخذين عليها المساجد والسرج، وقرن بينهما، فهي قرينات في اللعنة فدل ذلك على أنه ليس المنع من اتخاذ المساجد عليها لأجل النجاسة بل لأجل نجاسة الشرك.



٢٢- باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ (ص٣٤٧)

واعلم أن في الأبواب المتقدمة شيئاً من حمايته ﷺ لجناب التوحيد، ولكن أراد المصنف هنا بيان حمايته الخاصة.

* * *

قال: قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ...﴾ **الآية.**

فتأمل هذه الآية وما فيها من أوصافه الكثيرة الجمة التي تنفي أن ينصح لأمته ويسد الطرق الموصلة للشرك ويبلغ البلاغ المبين ويحمي جناب التوحيد غاية الحماية ويبالغ في انتزاع من أوحال الشرك.

* * *

قال: وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ... الحديث» رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات.

في الحديث النهي عن زيارة قبره على زمن مخصوص واجتماع معهود كالعيد الذي يكون على وجه مخصوص في زمن مخصوص وهذا يدل على المنع في جميع القبور؛ لأنه نهى عن هذا عند قبره وهو أفضل القبور فلزم أن يكون ما غيره من طريق أولى.

* * *

قال: وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً ... الخ رواه في المختارة.

هذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء

والصلاة عندها، لأن ذلك من اتخاذها عيداً، ويدل أيضاً على أن قصد الرجل القبر لأجل السلام إذا لم يكن يريد المسجد من اتخاذه عيداً المنهي عنه.



٢٣- باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبدون الأوثان (ص٣٦٢)

أراد المصنف بهذه الترجمة الرد على عباد القبور، والذين يفعلون الشرك ويقولون إنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية، وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله، فبيّن في هذا الباب من كلام الله وكلام رسوله ﷺ ما يدل على تنوع الشرك في هذه الأمة ورجوع كثير منها إلى عبادة الأوثان، وإن كانت طائفة منها لا تزال على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى.

❊ ❊ ❊

قال: وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ...﴾ **الآية.**

قال المصنف : وفيه معرفة الأيمان بالجبت والطاغوت، في الموضع هل هو اعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بعضها، ومعرفة بطلانها ؟

❊ ❊ ❊

قال : وقوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ...﴾ **الآية.**

وقوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ .

إن هذا الفعل يفضي بأصحابه إلى الإشراك كما هو الواقع. ولهذا لما فعلته اليهود والنصارى جرّهم ذلك إلى الإشراك، فدل ذلك على أن هذه الأمة تفعله كما فعلته اليهود والنصارى، فجرهم ذلك إلى الشرك لأن ما فعلته اليهود والنصارى ستفعله هذه الأمة، وهذا وجه الاستشهاد المصنف رحمه الله بهذه الآيات المتقدمة.

❊ ❊ ❊

قال : وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لتتبعن سنن من ... الحديث» أخرجاه.

وجه مطابقة الحديث للترجمة واضح ؛ لأن الأمم قبلنا وجد فيها الشرك، فكذلك يوجد في هذه الأمة كما هو واقع.

* * *

قال : ولمسلم عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال : «إن الله زوى إلى الأرض ...الحديث»

اعلم أن هذا الحديث بجملته كما عُد من الأدلة على الشهادتين فإن كل جملة وقعت كما أخبر بها النبي ﷺ. أقول : وهو صريح في معنى الترجمة.



٢٤- باب ما جاء في السحر (ص٣٨٢)

لما كان السحر من أنواع الشرك إذ لا يأتي السحر بدون الشرك ولهذا جاء في الحديث: «**من سحر فقد أشرك**» أدخله المصنف في كتاب التوحيد ليبين ذلك تحذيراً منه كما ذكر غيره من أنواع الشرك.

❊ ❊ ❊

قال: وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ .

فدلت الآية على تحريم السحر، وهو كذلك بل هو محرم في جميع أديان الرسل عليهم الرسل ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ وقد نص أصحاب أحمد على أنه يكفر بتعلمه وتعليمه.

❊ ❊ ❊

قال: وقوله ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾

ووجه إيرادها هنا ظاهر؛ لأن السحر هو الجبت كما قال عمر بن الخطاب.

❊ ❊ ❊

قال: قال عمر بن الخطاب: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان.

ومطابقة هذا للترجمة ظاهر من جهة أن الساحر طاغوت من الطواغيت، إذا كان هذا الإسم يطلق على الكاهن والساحر أولى؛ لأنه أشر وأخبث.

❊ ❊ ❊

قال : وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «اجتنبوا السبع الموبقات ... الحديث» أخرجاه.

وجه إيراد المصنف لهذا الحديث، حيث ذكر السحر من جملة السبع الموبقات.

* * *

قال : وعن جندب مرفوعاً «حد الساحر ضربة بالسيف ... الخ» رواه الترمذي وقال الصحيح أنه موقوف.

وفي صحيح البخاري «عن بجالة بن عبده قال : كتب عمر بن الخطاب ... الخ»

وصح عن حفصة أنها أمرت بجارية لها سحرتها فقتلت وكذا عن جندب.

قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ.

أقول : في ما تقدم من هذه الآثار يقرر المصنف رحمه الله حد الساحر وأنه يقتل؛ لأن خطره عظيم، ومفسدته كبيرة، وضرره بالغ فدل هذا على شدة تحريم السحر حيث أنَّ حدَّه السيف.



٢٥- باب شيء من أنواع الشرك (ص٣٩٤)

لما ذكر المصنف ما جاء في السحر أراد هنا أن يبين شيئاً من أنواع السحر الكثيرة ونوعها وخفائها على الناس حتى أعتقد كثير من الناس أن من صدرت عنه هذه الأمور من الأولياء، وعدّوها من كرامات الأولياء، وآل الأمر إلى أن عبد أصحابها ورجي فيهم النفع والضر، فلا بد من ذكر فرقاناً يفرق به المؤمن بين ولي الله وعدو الله.

* * *

قال: قال أحمد رحمه الله: حدثنا محمد بن جعفر عن حيان بن العلاء...الحديث.

قال عوف: زجر الطير ... الخ.

قال: رنة الشيطان ... الخ.

في الحديث دليل على تحريم والتنجيم لأنه إذا كان الحظ وغيره الذي منه فروع النجامة من الجبت فكيف بالنجامة ؟!

* * *

قال: وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «من اقتبس شعبة من النجوم...الحديث» رواه أبو داود بإسناد صحيح.

قال شيخ الإسلام: فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾.

* * *

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «من عقد

عقدة ... الحديث».

هذا نص في أن الساحر مشرك إذ لا يتأتى السحر بدون الشرك كما حكاه الحافظ عن بعضهم.

* * *

قال: وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم ما العضه ... الحديث» رواه مسلم.

ظاهر إيراد المصنف لهذا الحديث هنا يدل على أن معنى العضة عنده هنا هو السحر.

وقد أورد المؤلف كلاماً لأهل العلم يدل على أن النميمة نوع من أنواع السحر أو أنها تفعل أشد من فعل السحر ثم قال: وبه يظهر مطابقة الحديث للترجمة.

* * *

قال: ولهما عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ «إن من البيان لسحرا».

فسماه سحراً؛ لأنه يستميل القلوب كالسحر.



٢٦- باب ما جاء في الكهان ونحوهم (ص٤٠٥)

لما ذكر المصنف شيئاً مما يتعلق بالسحر ذكر ما جاء في الكهان ونحوهم، لمشابهة هؤلاء للسحرة.

* * *

قال: وروى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ «من أتى عرّافاً ...الحديث».

ظاهر الحديث أن هذا الوعيد مرتب على مجيئه وسؤاله سواء صدقه أو شك في خبره؛ لأن إتيان الكهان منهي عنه كما في حديث بن الحكم السهمي؛ ولأن إذا شك في خبره فقد شك أنه لا يعلم الغيب وذلك موجب للوعيد بل يجب أن يقطع ويعتقد أنه لا يعلم الغيب إلا الله.

* * *

قال: وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول...الحديث».

قال: وللأربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما عن أبي هريرة «من أتى عرافاً أو كاهناً ...الحديث».

قال: ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً.

وفيه دليل على كفر الكاهن والساحر والمصدق لهما لأنهما يدعيان علم الغيب وذلك كفر، والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به وذلك كفر أيضاً.

* * *

قال : وعن عمران بن حصين مرفوعاً «ليس منا من تطير أو تطير ... الحديث» رواه البزار بسند جيد.

ورواه الطبراني بإسناده حسن من حديث ابن عباس دون قوله «من أتى ... الخ».

قال : قال البغوي :

وقال : أبو العباس :

قال : وعن ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد ...الحديث.

وكتابة أبي جاد وتعلمها لمن يدعي بها معرفة علم الغيب هو الذي يسمى علم الحروف ولبعض المبتدعة فيه مصنف، فأمّا تعليمها للتهجي وحساب الجمل فلا بأس بذلك.



٢٧- باب ما جاء في النشرة (ص٤١٦)

لما ذكر المصنف حكم السحرة والكهنة، ذكر ما جاء في النشرة؛ لأنها قد تكون من فعل الشياطين والسحرة فتكون مضادة للتوحيد وقد تكون مباحة.

* * *

قال : وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة ... الحديث.

قال : وسئل أحمد عنها فقال : ...

قال : وروى البخاري عن قتادة قال : قلنا لابن المسيب ...الخ.

قال : رُوي عن الحسن أنه قال : لا السحر ... الخ.

قال ابن القيم : النشرة حل السحر عن المسحور ... الخ.

أقول : وكلام ابن القيم هذا هو حاصل ما في الباب من الأحكام والفوائد.



٢٨- باب ما جاء في التطير (ص٤٢٠)

لما كانت الطيرة باباً من الشرك منافياً للتوحيد أو لكماله لأنها إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته؛ ذكره المصنف رحمه الله في كتاب التوحيد تحذيراً منها وإرشاداً إلى كمال التوحيد بالتوكل على الله.

* * *

قال: وقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

قال: وقوله: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾.

مطابقة الآيتين لمقصود الباب ظاهر؛ لأن الله تعالى لم يذكر الطير إلا عن أعدائه فهو من أمر الجاهلية لا من أمر الإسلام.

* * *

قال: وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا هامة ولا صفر» أخرجاه.

زاد مسلم «... الخ».

ولهما عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني...الحديث».

فأوضح النبي ﷺ لأنه الأمر وبيّن لهم فساد الطيرة ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة ولا فيها دلالة ولا يصيبهم شيء لما يخافونه ويحذرونه لتطمئن قلوبهم ولتسكن نفوسهم إلى وحدانية الله تعالى التي أرسل بها رسله وأنزل بها كتبه.

أقول: وأخبر أنه يعجبه الفأل، وأن الفأل ليس من الطيرة بل هو

أمر محمود؛ لأنه حسن ظن بالله عز وجل. ذكر معناه بعض العلماء.

قال: ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها ... الحديث».

هذا دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً. ويعد من اعتقدها سفيهاً مشركاً.

وفي الدعاء هذا نهاية توحيد الربوبية الذي يثمر التوكل وتوحيد العبادة.

* * *

قال: وعن ابن مسعود مرفوعاً «الطيرة شرك مرتين .. وما منا إلا ... الحديث» رواه أبو داود والترمذي وصححه.

جعل الطيرة من الشرك، لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب نفعاً أو يدفع ضراً إذ عملوا بموجبه فكأنهم شرَّكوه مع الله تعالى، وأخبر أن التوكل علاج يذهب الله به الطيرة.

* * *

قال: ولأحمد من حديث ابن عمر «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك قالوا: فما كفارة ذلك؟! قال: ... الخ.

هذا كفارة لما يقع من الطيرة.

* * *

قال: وله من حديث الفضل بن العباس «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك».

هذا حدٌّ للطيرة المنهي عنها بأنها ما أوجب للإنسان أن يمضي لما يريده ولو من الفأل أو ردٌّ عما يريده.

٢٩- باب ما جاء في التنجيم (ص٤٤١)

المراد هنا ذكر ما يجوز من التنجيم وما لا يجوز وما ورد من الوعيد فيه.

أقول : لما كان التنجيم منه ما هو كفر ساق المؤلف هذا الباب لبيان ما يجوز منه وما لا يجوز.

* * *

قال : قال البخاري في صحيحه : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم ... الخ.

حيث جاء هذا الأثر وغيره من النصوص بإبطال علم التنجيم وذّمه.

* * *

قال : وكره قتادة تعلم منازل القمر ... الخ

والمقصود بالتعلم هو تعلم منازل الشمس والقمر للاستدلال بذلك على القبلة وأوقات الصلوات والفصول، وهو كما ترى من اختلاف السلف فيه فما ظنك بمن قال بأن الموجودات في العالم السفلي مركبة على تأثير الكواكب والروحانيات، وأن الكواكب فاعلة مختارة، فهذا كفر بالإجماع. وكذا من استدل على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها واقترابها ونحوه فهذا محرم بل اختلفوا في تكفيره.

قال المؤلف : وينبغي أن يقطع بتكفيره؛ لأنها دعوى لعلم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه.

وهذه هي الأقسام الثلاثة لتعلم منازل القمر ذكرها المؤلف.

* * *

قال : وعن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا يدخلون الجنة...الحديث»

وجه مطابقة الحديث للترجمة أنه قال «**ويصدِّق بالسحر**» وقد جاء في الحديث ما يدل على أن التنجيم من السحر «**ومن اقتبس علماً من النجوم فقد اقتبس علماً من السحر**».



٣٠- باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء (ص٤٥١)

أي من الوعيد، والمراد نسبة السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء.

أقول: ولما كان نسبة المطر إلى غير الله كالأنواء وغيرها يكون كفراً لما جاء في حديث زيد بن خالد الجهني وابن عباس؛ أورد المصنف هذا الباب في كتابه العظيم كتاب التوحيد. لا سيما وهذا النوع من الكفر يكثر وقوعه من الناس وهم لا يشعرون.

* * *

قال: وقول الله تعالى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ .

أي: وتجعلون شكركم لله على ما أنزل عليكم من الغيث والمطر والرحمة أنكم تكذبون، أي تنسبونه إلى غيركم، وبهذا يظهر وجه استدلال المصنف بالآية على الترجمة.

* * *

قال: وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية ... الحديث»

أقول: حيث ذكر الاستسقاء بالنجوم أنه من أمر الجاهلية وأهلها وذلك خرج محرج الذم، وهذا هو وجه مطابقة الحديث للترجمة.

* * *

قال: ولهما عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية ... الحديث»

أقول : وهو صريح في مطابقته للترجمة.

* * *

قال : ولهما من حديث ابن عباس معناه . .

وفيه قال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا . . . الخ . . . فأنزل الله . . . الخ.



٣١- باب قول الله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ الآية (ص٤٦٦)

لما كانت محبة الله سبحانه هي أصل دين الإسلام الذي يدور عليه قطب رحاها، فبكمالها يكمل الإيمان، وبنقصها ينقص التوحيد عند الإنسان نبه المصنف رحمه الله على وجوبها على الأعيان.

ودلت الآية على أن من أحب شيئاً كحب الله فقد اتخذه نداً لله وذلك هو الشرك الأكبر قاله المصنف، ودلت على أن المشركين يعرفون الله ويحبونه وإنما أوجب كفرهم مساواتهم به الأنداد في المحبة.

* * *

قال : وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ...﴾ الآية، إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ الآية.

وهو تنبيه على أن من فعل ذلك فهو من الفاسقين، فهذا تشديد ووعيد عظيم، لا يخلص منه إلا من صح إيمانه، مخلص لله سرُّه وإعلانه، وعلى أن المحبة الصادقة تستلزم تقديم مراضي الله على هذه الثمانية كلها فكيف بمن آثر بعضها على الله ورسوله وجهاد في سبيله.

* * *

قال : وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده... الحديث» أخرجاه.

إذا كان هذا شأن محبة الرسول ﷺ فما الظن بمحبة الله. وفيه أن الأعمال من الإيمان ؛ لأن المحبة عمل وقد نفى الإيمان عمن لم يكن

الرسول ﷺ أحب إليه مما ذكر فدل على ذلك. وفيه أن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام. وفيه وجوب محبته ﷺ على ما ذُكر.

* * *

قال : ولهما عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان... الحديث» أخرجاه.

فهذه علامات المحبة الصادقة ولوازمها.

* * *

قال : وعن ابن عباس قال : «من أحب في الله وأبغض في الله ...الخ» رواه ابن جرير.

وهذه هي المحبة النافعة لا لمحبة الدنيا ، وهي التي أوجبت لهم المواساة، والإيثار على الأنفس.

* * *

قال : قال ابن عباس في قوله «وتقطعت بهم الأسباب» قال : المودة.

فهذه حال من كانت مودته لغير الله فاحذر من ذلك.



٣٢- باب إخلاص الخوف لله (ص٤٨٣)

قال: وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ .

فأمر تعالى بإخلاص الخوف له وأخبر أن ذلك شرط في الإيمان ممن لم يأت به لم يأت بالإيمان الواجب، ففيه أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.

* * *

قال: وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ **الآية.**

أثبت تعالى في هذه الآية عمارة المساجد بالعبادة وأنه لا يفعل ذلك إلا المؤمنين بالله واليوم الآخر والمقيمين الصلاة والمؤتين الزكاة الذين لا يخشون إلا الله، ولا يخشون معه إلهاً آخر كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ فهذه هي العمارة النافعة وهي الخالصة من الشرك فإنه نار تحرق الأعمال.

* * *

قال: وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ...﴾ **الآية .**

إنما حمل ضعيف البصيرة على أن جعل فتنة الناس كعذاب الله هو الخوف منهم أن ينالوه بما يكره، بسبب الإيمان بالله وذلك من جملة الخوف من غير الله، وهذا وجه مطابقة الآية للترجمة.

* * *

قال : عن أبي سعيد مرفوعاً : «إن من ضعف اليقين ... الحديث».

أن من قوِي يقينه علم أن الله وحده النافع الضار وأنه لا مُعَوَّل إلا على رضاه، وليس لسواه من الأمر شيء كائناً من كان فلا يهاب أحداً ولا يخشى مخلوق ضرر يلحقه من جهته كما قال تعالى : ﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ .

* * *

قال : وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «من التمس رضى الله بسخط الناس ... الحديث»

وإنما يحمل الإنسان على إرضاء الخلق بسخط الخالق هو الخوف منهم فلو كان خوفه خالصاً لله لما أرضاهم بسخطه.



٣٣- باب الخوف (ص٤٩٥)

وقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

مراد المصنف في هذه الترجمة النص على أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى؛ لأنه من أفضل العبادات، وأعلى المقامات مقامات التوحيد، بل لا يقوم بع على وجه الكمال إلا خواص المؤمنين.

وفي الآية دليل على أن التوكل على الله عبادة، وعلى أنه فرض، وإذا كان كذلك فصرفه لغير الله شرك.

* * *

قال: وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ...﴾ **الآية.**

وفي الآية وصف المؤمنين حقاً بثلاث مقامات من مقامات الإحسان وهي الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده.

* * *

قال: وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أن الله تعالى أخبر أنه حسب رسوله وحسب أتباعه أي كافيهم، وناصرهم فنعم المولى ونعم النصير، وفي ضمن ذلك أمرهم بإفراده تعالى بالحسب استكفاءً بكفايته تبارك وتعالى وذلك هو التوكل، وبهذا يتبين مطابقة الآية للترجمة.

* * *

قال : وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ .

في الآية فضل التوكل وأنه أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار؛ لأن الله علق الجملة الأخيرة على الأولى تعليق الجزاء على الشرط.

* * *

قال : وعن ابن عباس قال : «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار ... الخ رواه البخاري.

إن القيام بالأسباب مع التوكل على الله لا يتنافيان بل يجب على العبد القيام بهما كما فعل الخليلان عليهما السلام.



٣٤- باب قوله تعالى : ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾

المراد بهذه الترجمة التنبيه على الجمع بين الرجاء والخوف ؛ ولذلك ذكر بعد هذه الآية قوله تعالى ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ ودلت الآية على وجوب الخوف من مكر الله.

* * *

قال : وقوله : ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ .

نبّه المصنف رحمه الله بهذه الآية على الجمع بين الرجاء والخوف، فإذا خاف فلا يقنط من رحمة الله بل يرجوها مع العمل الصالح، فأمّا الرجاء مع الإصرار على المعاصي فذاك من غرور الشيطان.

* * *

قال : عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر فقال : «الشرك بالله واليأس ... الحديث».

قال : وعن ابن مسعود قال : أكبر الكبائر الإشراك بالله ... الخ.

فيه التنبيه على الجمع بين الخوف والرجاء فإذا خاف فلا ييأس ولا يقنط. وكان السلف يستحبون أن يقوى في الصحة الخوف، وفي المرض الرجاء.

قال : وينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف فإذا كان الغالب عليه الرجاء فسد.



٣٥- باب الصبر على أقدار الله.

أقول : لما كان الصبر من الإيمان، بل له منزلة عظيمة منه، وكذا لما كان التسخُّط على أقدار الله منتشر بين الناس، ساق المصنف هذا الباب.

* * *

قال : وقول الله تعالى : ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ .

أي من أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله ؛ جازاه الله تعالى بهداية قلبه التي هي أصل كل سعادة وخير في الدنيا والآخرة، وقد يخلف عليه أيضاً في الدنيا ما أخذه منه أو خيراً منه كما قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الآيتين .

* * *

قال : وقال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلِّم.

هذا تفسير للإيمان المذكور بالآية لكن تفسير باللازم هو الصحيح؛ لأن هذا اللازم للإيمان الراسخ في القلب.

* * *

قال : وفي صحيح مسلم : عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «اثنتان في الناس... الحديث».

فيه أن الصبر واجب؛ لأن النياحة منافية له فإذا حرمت دلَّ على وجوبه.

* * *

قال : ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية».

وهذه الأمور مشتملة على التسخط على الرب وعدم الصبر الواجب والإضرار بالنفس من لطم الوجه وإتلاف المال بشق الثياب وتمزيقها، وذكر الميت بما ليس فيه، والدعاء بالويل والثبور، والتظلم من الله وبدون هذا يثبت التحريم الشديد.

* * *

قال : وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : «إذا أراد الله بعبده خيراً عجل له العقوبة... الحديث» رواه الترمذي وحسنه الحاكم.

فيه من الفوائد أن البلاء للمؤمن من علامات الخير خلافاً لما يظنه كثير من الناس، وفيه الخوف من الصحة الدائمة أن تكون علامة شر، وفيه تنبيه على رجاء الله وحسن الظن به فيما يقتضيه لك مما تكره وفيه معنى قوله تعالى ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ .

* * *

قال : وقال النبي ﷺ «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا ... الحديث» رواه الترمذي وحسنه.

وهذا دليل على فضيلة الرضا وهو أن لا يعترض على الحكم ولا يتسخطه ويكرهه.



٣٦- باب ما جاء في الرياء (ص٥٢٤)

لما كان خلوص العمل من الشرك والرياء شرطاً في قبوله ؛ لمنافاة الشرك والرياء للتوحيد ؛ نبّه المصنف على ذلك تحقيقاً للتوحيد.

* * *

قال : وقول الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ....﴾ **الآية.**

في الآية تسمية الرياء شركاً، وفيها أن من شروط الإيمان بالله واليوم الآخر أن لا يشرك بعبادة ربه أحداً.

* * *

قال : عن أبي هريرة مرفوعاً «قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي غيري تركته وشركه» رواه مسلم.

لما كان المرائي قاصداً بعمله الله تعالى وغيره، كان قد جعل الله شريكاً، فإذا كان كذلك فالله هو الغني على الإطلاق عن الشركاء.

* * *

قال : وعن أبي سعيد مرفوعاً «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي ... الحديث» رواه أحمد.

وفي الحديث أن الرياء أخوف على الصالحين من فتنة الدجال وفيه الحذر من الرياء ومن الشرك الأكبر، إذا كان النبي ﷺ يخاف الرياء على أصحابه مع علمهم وفضلهم فغيرهم أولى بالخوف.



٣٧- باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا (ص٥٣٤)

المراد بهذا أن يعمل الإنسان عملاً صالحاً يريد به الدنيا كالذي يجاهد للقطيفة والخميلة ونحو ذلك، وليس هذا الباب داخلاً في باب الرياء كما ظنه بعضهم.

* * *

قال: وقوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ **الآيتين.**

في الآية أن الشرك محبط للأعمال وأن إرادة الدنيا وزينتها بالعمل كذلك.

* * *

قال: وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم ... الحديث».

فبيّن أن مقصوده الدنيار والدراهم ونحوهما من أعراض الدنيا فذمّه بذلك، ودعا عليه وسماه عبداً لما طلبه من أعراض الدنيا؛ لأن نيته صارت مقصورة على ذلك، فيغضب ويرضى ويسعى في تحصيله بكل ممكن.



٣٨- باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه الله فقد اتخذوهم أرباباً من دون الله (ص٥٤٣)

لما كانت طاعة الله من أنواع العبادة بل هي العبادة فإنها طاعة الله بإمتثال ما أمر به على ألسنة رسله عليهم السلام ؛ نبّه المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة على وجوب اختصاص الخالق تبارك وتعالى بها، وأنه لا يطاع أحد من الخلق إلا حيث كانت طاعته متدرجة تحت طاعة الله وإلا فلا تجب طاعة أحد من الخلق استقلالاً.

والمقصود هنا الطاعة الخاصة في تحريم الحلال أو تحليل الحرام فمن أطاع مخلوقاً في ذلك غير الرسول ﷺ فإنه لا ينطق عن الهوى ؛ فهو مشرك كما ينبه الله تعالى في قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ الآية وفسرها النبي ﷺ بطاعتهم في تحليل الحرام أو تحريم الحلال.

* * *

قال: وقال ابن عباس: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله ﷺ وتقولون ... الخ.

قال ابن عباس هذا الكلام الصادر عن محض الإيمان، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ، وإن خالفه من خالفه كائناً من كان.

كما قال الشافعي: أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن أن يدعها لقول أحد.

* * *

قال: وقال أحمد بن حنبل: عجبت لقوم عرفوا الإسناد

وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ...﴾ الآية، أتدري ... الخ.

ومراد أحمد الإنكار على من يعيب إسناد الحديث وصحته، ثم بعد ذلك يقلد سفيان أو غيره، وفي كلام أحمد إشارة إلى أن التقليد قبل بلوغ الحجة لا يلزم، إنما المذموم المنكر الحرام الإقامة على ذلك بعد بلوغ الحجة.

والفرض والحتم على المؤمن إذا بلغه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلم معنى ذلك في أي شيء، أن يعمل به ولو خالفه من خالفه، فبذلك أمرنا ربنا تبارك وتعالى ونبيه ﷺ وأجمع على ذلك العلماء.

* * *

قال: وعن عدي بن حاتم أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ...﴾ الآية فقلت له: إنا لسنا نعبدهم... الحديث رواه الترمذي وحسنه.

صرح النبي ﷺ في هذا الحديث أن عبادة الأحبار والرهبان هي طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام، وهو طاعتهم في خلاف حكم الله ورسوله.

قال شيخ الإسلام: وهؤلاء على وجهين:

أحدهما: أنهم يعلمون أنهم بدّلوا دين الله، فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله إتباعاً لرد سائلهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال، وتحليل الحرام ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من

أهل الذنوب.

* * *

قال المصنف: وفيه تغير الأحوال إلى هذه الغاية صار عنه الأكثر...الخ وهي المسألة الخامسة.

يشير إلى ما يعتقده كثير من الناس فيمن ينتسب إلى الولاية من الضر والنفع، والعطاء والمنع، ويسمون ذلك الولاية والسر ونحو ذلك وهو الشرك. فتراهم يطيعونهم فيما يقولون سواء وافق حكم الله أم خالفه.



٣٩- باب قول الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ....﴾ الآية (ص٥٥٤).

لما كان التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله مشتملاً على الأيمان بالرسول ﷺ، مستلزماً له، وذلك هو الشهادتان ولهذا جعلهما النبي ﷺ ركناً واحداً في قوله: «**بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . . . الحديث**» نبّه في هذا الباب على ما تضمنه التوحيد، واستلزمه من تحكيم الرسول ﷺ في موارد النزاع، إذ هذا هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، ولازمها الذي لابد منه لكل مؤمن، فإن من عرف أن لا إله إلا الله، فلا بد من الإنقياد لحكم الله والتسليم لأمره الذي جاء به من عنده على يد رسوله محمد ﷺ.

أقول : وأيضاً من لطيف قصد المصنف رحمه الله أنه لما بيّن في الباب السابق تحريم طاعة غير الله ورسوله في معصية الله ورسوله، أراد في هذا الباب تقرير وجوب طاعة الله عز وجل ورسوله ﷺ. والزيادة في التشنيع على من حكّم غير شرع الله عز وجل.

إذا تبيّن هذا ؛ فمعنى الآية المترجم لها : أن الله تبارك وتعالى أنكر على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله، وعلى الأنبياء قبله، وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما ذكر المصنف في سبب نزولها.

* * *

قال : وقوله ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ .

قال ابن القيم : فالشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره

ومطاع متبع غير رسول الله ﷺ هو من أعظم الفساد في الأرض ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود والدعوة له لا لغيره والطاعة والإتباع لرسوله ليس إلا، وبهذا يتبين وجه مطابقة الآية للترجمة لأن من يدعوا إلى التحاكم إلى غير ما أنزل الله وإلى الرسول فقد أتى بأعظم الفساد.

* * *

قال: وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

مطابقة الآية للترجمة ظاهر؛ لأن من دعا إلى التحاكم إلى غير ما أنزل الله فقد أتى بأعظم الفساد، وفي الآية دليل على وجوب إطراح الرأي مع السنة وإن أدعى صاحبه أنه مصلح.

* * *

قال: وقوله ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

وفي الآية إشارة إلى أن من ابتغى غير حكم الله ورسوله، فقد ابتغى حكم الجاهلية، كائناً ما كان.

* * *

قال: وعن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» قال النووي: حديث صحيح، رويناه ... الخ.

ومطابقة الحديث للباب ظاهره من جهة أن الرجل لا يؤمن حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ في كل شيء حتى في الحكم وغيره، فلا يكون مؤمناً كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي وغيرها، فيحب ما أمر به

ويكره ما نهى عنه.

* * *

قال: وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل منْ اليهود خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد عرف أنه لا يأخذ الرشوة ... الخ رواه ابن جرير بن المنذر.

قال: وقيل نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما نترافع إلى النبي ﷺ وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف ثم ترافعا إلى عمر ... الخ.

في القصة من الفوائد أن الدعاء إلى تحكيم غير الله ورسوله من صفات المنافقين، ولو كان الدعاء إلى تحكيم إمام فاضل، وفيها أن من طعن في أحكام النبي ﷺ أو في شيء من دينه قتل كهذا المنافق بل أولى.



٤٠- باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات (ص٥٧٤)

لما كان تحقيق التوحيد بل التوحيد لا يحصل إلا بالإيمان بالله والإيمان بأسماءه وصفاته ؛ نبّه المصنف على وجوب الإيمان بذلك.

وأيضاً فالتوحيد ثلاثة أنواع : توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد العبادة، والأولان وسيلة للثالث، فهو الغاية والحكمة المقصود بالخلق والأمر، وكلها متلازمة تناسب التنبيه على الإيمان بتوحيد الصفات.

* * *

قال : وقول الله تعالى ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ .

مطابقة الآية للترجمة ظاهره لأن الله تعالى سمى جحود أسم من أسمائه كفراً، فدل على أن جحود شيء من أسماء الله وصفاته كفر، فمن جحد شيئاً من أسماء الله وصفاته من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة ونحوهم فله نصيب من الكفر بقدر ما جحد من الاسم والصفة.

* * *

قال : وروى عبدالرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات ... الخ.

المراد الإنكار عليهم، فإن الواجب على العبد التسليم والإذعان والإيمان بما صح عن الله وعن رسوله ﷺ وإن لم يحط به علماً. وفي هذا الأثر دليل على أن من ردَّ شيئاً من آيات الصفات أو استنكره بعد صحته فهو لم يفرق بين الحق والباطل، بل هو من الهالكين وأنه ينكر عليه استنكاره.

* * *

قال : ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكر ذلك فأنزل الله ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ .

وفيه دليل على أن من أنكر شيئاً من الصفات، فهو من الهالكين؛ لأن الواجب على العبد الإيمان بذلك سواء فهمه أو لم يفهمه وسواء قبله عقله أو أنكره.



٤١- باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ (ص٥٨٢)

المراد بهذه الترجمة التأدب مع جناب الربوبية عن الألفاظ الشركية الخفية كنسب النعم إلى غير الله؛ فإن ذلك باب من أبواب الشرك الخفي، وضده باب من أبواب الشكر كما في الحديث الذي رواه ابن حبان في «صحيحه» عن جابر مرفوعاً «من أولى معروفاً فلم يجد له جزاء إلا الثناء فقد شكره ومن كتمه فقد كفره».

* * *

قال: قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي.

قال ابن القيم ما معناه: لما أضافوا النعم إلى غير الله فقد أنكروا نعمة الله بنسبتها إلى غيره، فإن الذي يقول هذا جاحد لنعمة الله عليه غير معترف بها. وهو كالأبرص والأقرع حين ذكرهما الملك بنعم الله عليهما فأنكراها وقالا: إنما ورثنا هذا كابراً عن كابر، وكونها موروثة عن الآباء أبلغ في إنعام الله عليهم إذا أنعم عليهم آبائهم ثم ورثوهم إيها فتمتوا هم وآبائهم بنعمة.

* * *

وقال عون بن عبدالله: يقولون لولا فلان لم يكن كذا.

قال ابن القيم ما معناه: هذا يتضمن قطع إضافة النعمة عن من لولاه لم تكن، وإضافتها إلى من لا يملك ضراً ولا نفعاً فضلاً عن غيره، وغايته أن يكون جزءاً من أجزاء السبب أجرى الله نعمته على يده، والسبب لا يستقل بالإيجاد وجعله سبباً هو من نعم الله عليه.

* * *

قال : وقال قتيبة : يقولون هذا بشفاعة آلهتنا.

قال ابن القيم : هذا يتضمن الشرك مع إضافة النعمة إلى غير وليها، فالآلهة التي تعبد من دون الله أحقر وأذل من أن تشفع عند الله. وأقرب الخلق إلى الله وأحبهم إليه لا يشفع عنده إلا من بعد إذنه لمن ارتضاه، فالشفاعة بإذنه نعمة، فهو المنعم بالشفاعة، وهو المنعم بقبولها وهو المنعم بتأهيل المشفوع له.

❊ ❊ ❊

قال : وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه أن الله تعالى قال : «أصبح من عبادي ... الخ» الحديث : وقد تقدم وهذا كثير في الكتاب والسنة ... الخ.

قال بعض السلف : هو كقولهم كانت الريح طيبة ... الخ.

لا يليق بالمنعم عليه المطلوب منه الشكر أن ينسى من بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير، ويضيف النعم إلى غيره، بل يذكرها مضافة منسوبة إلى مولاها المنعم بها.



٤٢- باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (ص٥٨٦)

اعلم أن من تحقيق التوحيد الإحتراز من الشرك بالله في الألفاظ وإن لم يتكلم بها معنى لا يجوز، بل ربما تجري على لسانه من غير قصد، كمن يجري على لسانه ألفاظ من أنواع الشرك الأصغر لا يقصدها.

* * *

قال: قال ابن عباس في الآية: «الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ... الخ» رواه ابن أبي حاتم وسنده جيد.

فتبين أن هذه الأمور ونحوها من الألفاظ الشركية الخفية لما نص عليها ابن عباس رضي الله عنه. والواجب نسبة ذلك إلى الله تعالى، فهو الذي يحفظ عباده ويكلؤهم بالليل والنهار.

* * *

قال: وعن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم.

قال ابن عبدالبر: «لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع» ا.هـ وأجمعوا على أن اليمين لا تكون إلا بالله أو بصفاته.

* * *

قال: وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً.

فيه دليل على أن الحلف بغير الله صادقاً أعظم من اليمين الغموس، وفيه دليل على أن الشرك الأصغر من الكبائر.

* * *

قال: وعن حذيفة عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان...الحديث» رواه أبو داود بسند صحيح.

سيأتي الكلام عليه في باب ما شاء الله وشئت إن شاء الله.

* * *

قال: وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ... الخ.

وذلك - والله أعلم - لأن الواو تقتضي مطلق الجمع، فمنع منها للجمع لئلا توهم الجمع بين الله وبين غيره، كما منع من جمع اسم الله واسم رسوله مع ضمير واحد، وثم تقتضي الترتيب فقط، مجاز ذلك لعدم المانع، ومطابقة الحديثين والأثرين للترجمة ظاهرة على ما فسر به ابن عباس رضي الله عنه الآية.



٤٣- باب ما جاء في من لم يقنع بالحلف بالله (ص٥٩٦)

أي من الوعيد ؛ لأن ذلك يدل على قلة تعظيمه لجناب الربوبية إذا القلب الممتليء بمعرفة عظمة الله وجلاله وعزته وكبريائه لا يفعل ذلك.

* * *

قال : عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لا تحلفوا آباءكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف ... الحديث» رواه ابن ماجه بسند حسن.

وهذا وعيد كقوله تعالى ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ قال ابن كثير : «فقد بريء من الله.» ا.هـ. هذا عام في الدعاوى وغيرها، ما لم يفض إلى إلغاء حكم شرعي كمن تشهد عليه البينة الشرعية، فيحلف على تكذيبها فلا يقبل حلفه.



٤٤- باب قول ما شاء الله وشئت (ص٥٩٨)

أي حكم التكلم بذلك، هل يجوز أم لا ؟ وإذا قلت لا يجوز فهل هو من الشرك ؟ أم لا ؟!

***

قال: عن قتيلة أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت وتقولون ... الخ» رواه النسائي وصححه.

هذا نص في أن هذا اللفظ من الشرك؛ لأن النبي ﷺ أقر اليهودي على تسمية هذا اللفظ تنديداً أو شركاً، ونهى النبي ﷺ عن ذلك، وأرشد إلى استعمال اللفظ البعيد عن الشرك، وقول ما شاء الله ثم شئت وإن كان الأولى قول ما شاء وحده كما في حديث ابن عباس وغيره.

***

قال: وله أيضاً عن ابن عباس أن رجلاً قال النبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. قال: «أجعلتني لله نداً ما شاء الله وحده».

قال ابن القيم رحمه الله: ومن الشرك بالله في الألفاظ قول القائل للمخلوق ما شاء وشئت هذا مع أن الله أثبت المشيئة للمخلوق كما قال ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ فكيف بمن يقول أنا متوكل على الله وعليك وغيرها مما هو مثلها.

***

قال: ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال:

رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت : إنكم لأنتم القوم لولا ... الخ.

وفيه دليل على أن كلمة «ما شاء الله وشئت» من الشرك الأصغر إذ لو كانت من الأكبر لأنكرها من أول مرة قالوها.



٤٥- باب من سب الدهر فقد آذى الله (ص٦٠٦)

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ظاهرة، لأن سب الدهر يتضمن الشرك كما سيأتي بيانه، ولفظ الأذى في اللغة هو لما خف أمره وضعف أثره من الشرك والمكروه؛ وكره الخطابي ووافقه عليه شيخ الإسلام. بخلاف الضرر فقد أخبر الله تعالى أن العباد لا يضرونه ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ فبين سبحانه أن العباد لا يضرونه لكن يؤذونه إذا سبوا مقلب الأمور.

* * *

قال: وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ .

مطابقة الآية للترجمة ظاهرة؛ لأن من سب الدهر فقد شاركهم في سبه وإن لم يشاركهم في الاعتقاد.

* * *

قال: وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر ... الحديث».

والحديث صريح في النهي عن سب الدهر مطلقاً، سواء اعتقد أنه فاعل أو لم يعتقد ذلك، كما يقع كثيراً ممن يعتقد الإسلام.



٤٦- باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه (ص٦١١)

أي : ما حكم التسمي بذلك هل يجوز أم لا ؟!

* * *

قال في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «**إن أخنع اسم رجل تسمى ملك الأملاك ... الحديث**».

والحديث صريح في تحريم التسمي بملك الأملاك ونحوه، فالذي تسمى بهذا الاسم فقد كذب وفجر وارتقى إلى ما ليس له بأهل بل هو حقيق برب العالمين، وقد ألحق أهل العلم بهذا قاضي القضاة وقالوا : ليس قاضي القضاة إلا من يقضي الحق وهو خير الفاصلين .

قال المؤلف : قلت وقد تبين بهذا مطابقة الحديث للترجمة.



٤٧- باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك (ص٦١٤)

أي لأجل احترامها وهو تعظيمها، وذلك من تحقيق التوحيد، ويستفاد منه المنع من التسمي بهذا ابتداء من باب الأولى، لكن في الأسماء المختصة بالله تعالى.

* * *

قال: وعن أبي شريح أنه كان يسمى أبا الحكم فقال له النبي ﷺ: «إن الله هو الحاكم وإليه الحكم» فقال: إن قومي إذا اختلفوا ...الخ رواه أبو داود والنسائي.

فيه الدليل على المنع من التسمي بأسماء الله المختصة به، والمنع مما يوهم عدم الاحترام لها كالتكني بأبي الحكم ونحوه.



٤٨- باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول (ص٦١٧)

أي إنه يكفر بذلك لاستخفافه بجناب الربوبية والرسالة وذلك مناف للتوحيد. ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك. فمن استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله أو بدينه، كفر ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً.

* * *

قال: وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾.

فتبيّن أن الاستهزاء بآيات الله ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه وفي الآية دليل على أن الرجل إذا فعل الكفر ولم يعلم أنه كفر لا يعذر بذلك بل يكفر.

* * *

قال: وعن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة دخل حديث بعضهم في بعض أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ... الخ. أثر ابن عمر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وفي الحديث من الفوائد؛ أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو عمل بعمل به، وأشدها خطراً إرادات القلوب فهي كالبحر الذي لا ساحل له ويفيد الخوف من النفاق الأكبر فإن الله تعالى أثبت لهؤلاء إيماناً قبل أن يقولوه ما قالوه.



٤٩- باب قول الله تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ...﴾ الآية (ص٦٢٣)

قال : قال مجاهد : هذا بعملي وأنا محقوق به. قال ابن عباس : ... الخ قال قتادة : ... الخ قال آخرون : ... الخ.

قال ابن كثير رحمه الله : يخبر أن الإنسان في حال الضر يضرع إلى الله تعالى وينيب إليه ويدعوه، ثم إذا خوله نعمة منه طغى وبغى، وقال ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي لما يعلم من استحقاقي له، ولولا أني عند الله حظيظ لما خولني هذا، قال ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ أي ليس الأمر كما زعمتم بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة، لنختبره فيما أنعمنا عليه، أيطيع أم يعصي ؟ مع علمنا المتقدم بذلك.

* * *

قال : عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى ... الحديث» متفق عليه.

هذا حديث عظيم، وفيه المعتبر، فإن الأولين جحدوا نعمة الله، فما أقر الله بنعمته، ولا نسب النعمة إلى المنعم بها، ولا أديا حق الله، فحل عليهما السخط. وأمَّا الأعمى فاعترف بنعمة الله، ونسبها إلى من أنعم عليه بها وأدى حق الله فيها، فاستحق الرضى من الله بقيامه بشكر النعمة لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي يقوم عليها الشكر وهي : الإقرار بالنعمة، ونسبتها إلى المنعم، وبذلها فيما يجب.



٥٠- باب قول الله تعالى : ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ **(ص٦٢٨)**

قال ابن حزم : اتفقوا على تحريم كل اسم معبد ... الخ.

وعن ابن عباس في الآية قال : لما تغشى آدم حملت فأتاهما إبليس ...الخ رواه ابن أبي حاتم.

وله بسند صحيح عن قتادة قال : شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته.

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ **قال : أشفقا أن لا يكون إنساناً ... الخ.**

لم يقوما بشكر ذلك على الوجه المرتضى كما وعدا بذلك، بل جعلا له فيه شركاء فيما أعطاهما من الولد الصالح والبشر السوي، بأن سمياه عبد الحارث فإن من تمام الشكر ألا يعبّد الإسم إلا لله، وقد حكى ابن حزم الإجماع على عدم جواز التسمية بعبد الكعبة ونحوها حاشا عبد المطلب فإن فيه خلاف.



٥١- باب قول الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ....﴾ الآية (ص٦٣٦)

الإلحاد في أسماء الله أنواع : أحدها : أن يسمي الأصنام كتسمية اللات من الإله فهذا إلحاد حقيقة فهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني : تسميته بما لا يليق، كتسمية النصارى له أباً ونحو ذلك.

الثالث : وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث اليهود : إنه فقير.

الرابع : تعطيل أسماء الله الحسنى عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول من الجهمية واتباعهم : أنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعاً ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين فإن أولئك أعطوا من أسمائه وصفاته لآلهتهم وهؤلاء سلبوا كماله، وجحدوها وعطلوها، وكلاهما ألحد في أسمائه.

الخامس : تشبيه صفاته بصفات خلقه، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً فهذا الإلحاد في مقابله إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفات كماله وجحدوها وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد، وتفرقت بهم طرقه.

* * *

قال : قال ابن عباس : ﴿يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ يشركون.

يشركون غيره في أسمائه كتسميتهم الصنم إلهاً، ويحتمل أن المراد الشرك في العبادة؛ لأن أسمائه تعالى تدل على التوحيد، فالإشراك بغيره إلحاد في معاني أسمائه سبحانه وتعالى لا سيما مع الإقرار بها.

* * *

قال : وعنه : سموا اللات من الاله ...الخ.

قال : وعن الأعمش : يدخلون فيها ما ليس منها.

أقول : هذان تفسيران معطوفان على التفسير الأول لابن عباس في قوله ﴿يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ﴾ .



٥٢- باب لا يقال السلام على الله (ص٦٤٨)

لما كان حقيقة لفظ الإسلام السلامة والبراءة والإخلاص والنجاة من الشر والعيوب، فإذا قال المسلم: السلام عليكم فهو دعا للمسلَّم عليه، وطلب له أن يسلم من الشر كله، والله هو المطلوب منه لا المطلوب له، وهو المدعو لا المدعو له، وهو الغني، له ما في السماوات وما في الأرض استحال أن يسلم عليه سبحانه وتعالى، بل هو المسلم على عباده كما قال تعالى ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾.

* * *

قال: وفي الصحيح: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع رسول الله ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده ...الخ.

أنكر عليه السلام التسليم على الله، وأخبر أن ذلك عكس ما يجب له سبحانه، فإن كل سلام ورحمة له ومنه، فهو مالكها ومعطيها، وهو السلام.

قال ابن الأنباري: أمرهم أن يعرفوه إلى الخلق لحاجتهم إلى السلامة.

وقال غيره: وهذا كله حماية منه ﷺ لجناب التوحيد حتى يعرف الله تعالى ما يستحقه من الأسماء والصفات وأنواع العبادات.



٥٣- باب قول : اللهم اغفر لي إن شئت (ص٦٥١)

لما كان العبد لا غنى له عن رحمة الله ومغفرته طرفة عين، بل فقير بالذات إلى الغني بالذات كما قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾؛ نهى عن قول ذلك، لما فيه من إيهام الاستغناء عن مغفرته سبحانه ورحمته، وذلك مضاد للتوحيد.

* * *

قال : وفي الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ... الحديث» ولمسلم «وليعظم الرغبة ... الحديث».

قال القرطبي : إنما نهى الرسول ﷺ عن هذا القول ؛ لأنه يدل على فتور الرغبة، وقلة الاهتمام بالمطلوب، وكأن هذا القول يتضمن أن هذا المطلوب إن حصل وإلا استغني عنه ومن كان هذا حاله، لم يتحقق من حالة الافتقار والاضطرار الذي هو روح عبادة الدعاء، وكان ذلك دليلاً على قلة معرفته بذنوبه، وبرحمة ربه.



٥٤- باب لا يقول: عبدي وأمتي (ص٦٥٣)

لما في ذلك من الإيهام من المشاركة في الربوبية، فنهى عن ذلك أدباً مع جناب الربوبية، وحماية لجناب التوحيد.

* * *

قال: في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضيء ربك، وليقل: سيدي ومولاي ... الحديث»

قال الخطابي: سبب المنع أن الإنسان مربوب معبّد بإخلاص التوحيد لله تعالى، وترك الإشراك به، فترك المضاهاة بالاسم لئلا يدخل في معنى الشرك، ولا فرق في ذلك بين الحر والعبد، وأمَّا من لا تعبُّد عليه من سائر الحيوانات والجمادات، فلا يكره أن يطلق ذلك عليه عن الإضافة كقوله: رب الدار والثوب.

وقال ابن مفلح في الفروع: وظاهر النهي التحريم، وقد يحتمل أنه للكراهة، وجزم به غير واحد من العلماء.



٥٥- باب لا يرد على من سُئل بالله (ص٦٥٦)

أي : إعظاماً وإجلالاً لله تعالى أن يسأل به في شيء ولا يجاب السائل إلى سؤاله ومطلوبه ؛ ولهذا أمر النبي ﷺ بإبراء القسم، وهل هو أمر استحباب أو إيجاب ؟ وظاهر كلام شيخ الإسلام التفريق بين أن يقصد إلزامه بالقسم فتجب إجابته، أو يقصد إكرامه فلا تجب عليه.

* * *

قال : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سأل بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه ... الحديث» رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

هذا الحديث دالٌ على إجابة من سأل بالله أو أقسم به، ولكن قال شيخ الإسلام : إنما تجب على معين، فلا تجب على من سائل يقسم على الناس وظاهر كلام الفقهاء أن ذلك مستحب كإبراء القسم، والأول أصح.



٥٦- باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة (ص٦٥٩)

إعظاماً وإجلالاً وإكراماً لوجه الله أن يسأل به إلا غاية المطالب.

* * *

قال: عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة» رواه أبو داود.

الظاهر أن المراد لا يسأل بوجه الله إلا الجنة، أو ما هو وسيلة إليها، كالاستعاذة بوجه الله من غضبه ومن النار ونحو ذلك مما هو وارد في أدعيته ﷺ وتعوذاته.



٥٧- باب ما جاء في اللو (ص٦٦١)

اعلم أن من كمال التوحيد الاستسلام للقضاء والقدر رضاً بالله رباً، فإن هذا من جنس المصائب، والعبد مأمور عند المصائب بالصبر والإرجاع والتوبة، وقول «لو» لا يجدي عليه إلا الحزن والتحسر مع ما يخاف توحيده من نوع المعاندة للقدر الذي لا يكاد يسلم منها من وقع منه هذا إلا ما شاء الله، فهذا وجه إيراده هذا الباب في التوحيد.

❊ ❊ ❊

قال : وقول الله تعالى : ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا﴾ .

وجه إيراد المصنف الآية على الترجمة، لأن قول «لو» في الأمور المقدرة من كلام المنافقين، ولهذا رد الله عليهم ذلك بأن هذا قدر، فمن كتب عليه شيء فلا بد أن يناله، فماذا يغني عنكم قول «لو» و «ليت» إلا الحسرة والندامة ؟!! فالواجب عليكم التعزي بقدره مع ما ترجون من حسن ثوابه وفي ذلك عين الفلاح في الدنيا والآخرة.

❊ ❊ ❊

قال : وقوله ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ .

يقال عنها مثل الآية السابقة.

❊ ❊ ❊

قال : في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز ... الحديث» رواه مسلم.

في الحديث النهي عن حالة العجز وهي مفتاح عمل الشيطان فيلقيه العجز إلى «لو» ولا فائدة في «لو» هاهنا، بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن، وذلك كله من عمل الشيطان فنها النبي ﷺ عن افتتاح عمله بهذا المفتاح. وأمره بالحالة الثانية وهي النظر إلى القدر وملاحظته، وأنه لو قُدر له لم يفته، ولم يغلبه عليه أحد فلم يبق له هاهنا أنفع من شهود القدر، ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجود المقدور، وإذا انتفت امتنع وجوده.



٥٨- باب النهي عن سب الريح (ص٦٦٩)

لأنها مأمورة، ولا تأثير لها في شيء إلا بأمر الله، فسبها كسب الدهر، وقد تقدم النهي عنه، فكذلك الريح.

* * *

قال: عن أبي كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنا نسألك ... الحديث. صححه الترمذي.

أي لا تشتموها ولا تلعنوها للحوق ضرر فيها، فإنها مأمورة مقهورة فلا يجوز سبها، بل تجب التوبة عن التضرر بها وهو تأديب من الله تعالى لعباده، وتأديبه رحمة للعباد. وأمر النبي ﷺ بالرجوع إلى خالقها وآمرها الذي أزمة الأمور كلها بيده ومصدرها عن قضائه.



٥٩- باب قول الله تعالى ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ﴾ (ص٦٧١)

أراد المصنف بهذه الترجمة التنبيه على وجوب حسن الظن بالله؛ لأن ذلك من واجبات التوحيد؛ ولذلك ذم الله من أساء الظن به، ولأن مبنى حسن الظن على العلم برحمة الله وعزته وإحسانه وقدرته وعلمه وحسن اختياره، وقوة المتوكل عليه، فإذا تم العلم بذلك أثمر له حسن الظن بالله، وقد ينشأ حسن الظن من مشاهدة بعض الصفات.

وأمّا الكلام على الآية فإن أحسن ما قيل فيها كلام ابن القيم الذي أورده المصنف رحمه الله.

* * *

قال : وقوله ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ﴾ .

قال ابن كثير : يتهمون الله تعالى في حكمه، ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية.

* * *

قال : قال ابن القيم في الآية الأولى : فُسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر ما أصابهم ... الخ.

قال ابن القيم : فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع وليتب إلى الله ويستغفره كل وقت من ظنه بربه ظن السوء، وليظن السوء بنفسه التي هي مأوى كل سوء وصنيع كل شر، المركبة على الجهل والظلم فهي أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين، الغني الحميد الذي له الغنى التام، والحكمة التامة، المنزه

عن كل سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه، وصفاته كذلك، وأفعالها كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل، وأسماؤه كلها حسنة.



٦٠- باب ما جاء في منكري القدر (ص٦٨٥)

أي من الوعيد، لما كان توحيد الربوبية لا يتم إلا بإثبات القدر، ذكر المصنف ما جاء في الوعيد فيمن أنكره تنبيهاً على وجوب الإيمان، ولهذا عده النبي ﷺ من أركان الإيمان كما في حديث جبريل.

* * *

قال: وقال ابن عمر: «والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً...الخ ثم استدل بقول النبي ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله ... الحديث» رواه مسلم.

قال القرطبي: لا شك في تكفير من يذهب إلى ذلك، فإنه جحد معلوم من الشرع بالضرورة، ولذلك تبرأ منهم ابن عمر، وأفتى بأنهم لا تقبل منهم أعمالهم ولا نفقاتهم وأنهم كمن قال الله فيهم: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾. ووجه استدلال ابن عمر بالحديث من جهة أن النبي ﷺ عدَّ الإيمان بالقدر من أركان الإيمان فمن أنكره لم يكن مؤمناً، إذا الكافر بالبعض كافر بالكل.

* * *

قال: وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك ... الخ حتى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق القلم...الحديث» الخ. رواه أبو داود والترمذي وأحمد.

في الحديث كيفية الإيمان بالقدر أن يعلم أن ما أصابه لم يكن

ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وفي تكفير الجاحدين للقدر نزاع مشهور، وبالجملة فهم أهل بدعة شيعة والرسول ﷺ بريء منهم كما هو بريء من الأولين.

* * *

قال: وفي رواية لابن وهب قال: قال رسول الله ﷺ «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار».

لكفره أو بدعته إن كان ممن يقر بالعلم السابق وينكر خلق أفعال العباد؛ فإن صاحب البدعة متعرض للوعيد كأصحاب الكبائر، بل أعظم.

* * *

قال: وفي «المسند» و «السنن» عن أبي الديلمي قال: أتيت أُبي بن كعب فقلت: في نفسي شيء من القدر فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى ... الخ. حديث صحيح رواه الحاكم في المستدرك.

فيؤمن بأن جميع الأمور كائنة خيرها وشرها، حلوها ومرها، ونفعها وضرها، وقليلها وشرها، وكبيرها وصغيرها، بقضائه وقدره وإرادته ومشيئته وأمره.

إلى هنا وصل الشيخ سليمان في كتابه وقد أُكمل من كتاب فتح المجيد.



٦١- باب ما جاء في المصورين (ص٧٠٠)

أي من عظيم العقوبة لهم وعذابه، فإذا كان هذا في من صوّر صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من الحيوان فكيف بحال من سوّى المخلوق برب العالمين، وشبهه بخلقه، وصرف له شيئاً من العبادة التي ما خلق الله إلا ليعبدوه وحده بما لا يستحق غيره من كل عمل يحبه الله من العبد ويرضاه؟! لا شك أن هذا من أعظم الذنوب التي عصي الله تعالى بها وهو الشرك، وهو أظلم الظلم كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

❊ ❊ ❊

قال: وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ... الحديث» أخرجاه.

ولهما عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله».

ولهما عن ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفساً يعذب بها في جهنم».

ولهما عنه مرفوعاً «من صور صورة في الدنيا كلف ... الخ».

وقد ذكر النبي ﷺ العلة وهي المضاهاة بخلق الله؛ لأن الله تعالى له الخلق والأمر، فهو رب كل شيء ومليكه، وهو خالق كل شيء، وهو الذي صور جميع المخلوقات وجعل فيها الأرواح التي تحصل

فيها الحياة، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ثُمَّ﴾ الآيات. فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان وبهيمة صار مضاهياً لخلق الله، فصار ما صور عذاباً له يوم القيامة، وكلف أن ينفخ فيه الروح وليس بنافخ. فكان أشد الناس عذاباً. لأن ذنبه من أكبر الذنوب.

* * *

قال: ولمسلم عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ...الخ».

فيه تصريح بأن النبي ﷺ بعث علياً لذلك، أمّا الصور فلمضاهاتها لخلق الله، وأمّا تسوية القبور، فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها وهو من ذرائع الشرك ووسائله، فصرف الهمم إلى هذا وأمثاله من مصالح الدين ومقاصده وواجباته.



٦٢- باب ما جاء في كثرة الحلف (ص٧٠٩)

قال: وقول الله تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾.

أراد المصنف من الآية المعنى الذي ذكر ابن عباس وهو قوله في تفسير هذه الآية: لا تحلفوا؛ فإن القولين متلازمان، فيلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث مع ما يدل عليه من الاستخفاف وعدم تعظيم الله جل وعلا، وغير ذلك مما ينافي كمال التوحيد أو عدمه. أقول: وهذا وجه إيراد المصنف لهذا الباب في كتابه.

* * *

قال: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب» أخرجاه. وأبو داود والنسائي.

فهذا قد حلف طمعاً في الزيادة، وغرَّ المشتري فيكون قد عصى الله تعالى، فيعاقب بمحق البركة فإذا ذهبت بركة كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسبب حلفه.

* * *

قال: وعن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ... الحديث» رواه الطبراني بسند صحيح.

فهذا جعل الله بضاعته، لملازمته له وعلقه عليه. وهذه أعمال فدل على أن صاحبها إن كان موحداً فتوحيده ضعيف، وأعماله ضعيفة

يحسب ما قام في قلبه وظهر على لسانه وعمله من تلك المعاصي العظيمة على قلة الداعي إليها.

❊ ❊ ❊

قال: وفي الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم ... الحديث». رواه أبو داود والترمذي والبخاري بلفظ «خيركم».

وفيه عن ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم...الحديث».

وهذه حال من صرف رغبته إلى الدنيا، ونسي المعاد فخف أمر الشهادة واليمين عنده تحملاً وأداءً، لقلة خوفه من الله وعدم مبالاته بذلك وهذا هو الغالب على الأكثر والله المستعان، فإذا كان هذا قد وقع في صدر الإسلام الأول مما يعده أكبر بأضعاف، فكن من الناس على حذر.

❊ ❊ ❊

قال: قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

وذلك لكثرة علم التابعين وقوة إيمانهم ومعرفتهم بربهم وقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي هذا الرغبة في تمرين الصغار على طاعة ربهم ونهيهم عما يضرهم.



٦٣- باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه ﷺ (ص٧١٦)

أقول : أراد المصنف من سياقه لهذا الباب تعظيم ذمة الله عز وجل وذمة رسوله ﷺ، أن تحقر أو يستهان بها أو يستخف بشأنها، فإن الاستخفاف بذمة الله عز وجل أو ذمة نبيه ﷺ أو الاستهانة بها أو حقرها مما ينافي كمال التوحيد أو ينافي التوحيد وهذا وجه إيراد المصنف لهذا الباب من كتابه.

* * *

قال : وقوله : ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ .

قال العماد ابن كثير : وهذا مما يأمر الله تعالى به، وهو الوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الأيمان المؤكدة.

* * *

قال : وعن بريدة قال : «كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية...الحديث» رواه مسلم.

فخاف من نقض من لم يعرف حق الوفاء بالعهد، كجملة الأعراب، فكأنه يقول : إن وقع نقض من متعد متعد ؛ كان نقض عهد الخلق أهون من نقض عهد الله تعالى.



٦٤- باب ما جاء في الإقسام على الله (ص٧٢٣)

أقول : ساق المصنف رحمه الله هذا الباب لبيان خطر الحلف على الله، لأنه من سوء الأدب مع الله سبحانه تعالى، لأنه ينبغي التأدب مع الله جل وعلا وتعظيمه، وهذا مما يدخل في التوحيد.

* * *

قال : عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان فقال الله عز وجل : ... الخ» رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة : أن القائل رجل عابد. قال أبو هريرة تكلم بكلمة أبقت دنياه وآخرته.

فيه التحذير من التألي على الله. ذكره المصنف، وفيها أيضاً : بيان خطر اللسان، وذلك يفيد التحرز من الكلام.



٦٥- باب لا يستشفع بالله على خلقه (ص٧٢٥)

أقول: ساق المصنف هذا الباب إرشاداً إلى التأدب مع الله في الألفاظ والعبادات التي من شأنها أن تنقص من قدره سبحانه وتعالى؛ لأن تعظيمه سبحانه مما يدخل في توحيده وعبادته.

* * *

قال: عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت الأنفس... الحديث رواه أبو داود.

فالنبي ﷺ أنكر عليه قوله: «نستشفع بالله عليك» وتغير تغيراً عُرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة التي قالها الأعرابي. قاله المصنف أقول: فدل على عظم هذا وأنه مما لا ينبغي أن يقال مثل ذلك؛ لأن من قال ذلك لم يقدر الله حق قدره ولم يعظمه.



٦٦- باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد، وسده طرق الشرك (ص٧٣٠)

حمايته ﷺ حمى التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص، وهذا كثير في السنة كقوله ﷺ «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**» فأرشد النبي ﷺ الأمة إلى ترك هذا نصحاً لهم، وحماية لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يفسده أو يضعفه من الشرك ووسائله.

* * *

قال: عن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال: أنطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «السيد الله تبارك وتعالى» ... الحديث. رواه أبو داود بسند جيد.

في الحديث النهي عن أن يقولوا: أنت سيدنا.

* * *

قال: وعن أنس رضي الله عنه: أن أناساً قالوا: يا رسول الله يا خيرنا، وابن خيرنا...الخ. رواه النسائي بسند جيد.

كره ﷺ أن يواجهوه بالمدح فيفضي بهم إلى الغلو وأخبر ﷺ أن مواجهة المادح للممدوح بمدحه ولو بما فيه من عمل الشيطان، لما تفضي محبة المدح إليه من تعاظم الممدوح في نفسه، وذلك ينافي كمال التوحيد، وأمّا المادح فقد يفضي به المدح إلى أن ينزل الممدوح منزلة لا يستحقها كما يوجد كثيراً من أشعارهم من الغلو الذي نهى عن الرسول ﷺ وحذّر أمته أن يقع منهم.

٦٧- باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (ص٧٣٤)

قال العماد ابن كثير: وما قدر المشركون الله حق قدره، حتى عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته.

* * *

قال: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء جبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد ... الحديث. متفق عليه.

وفي رواية لمسلم «والجبال والشجر على أصبع ... الخ».

وفي رواية للبخاري «يجعل السماوات على أصبع، والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع».

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: «يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك ... الحديث».

وهذه الأحاديث معاً في معناها تدل على عظمة الله، وعظيم قدرته وعظيم مخلوقاته، وقد تعرف سبحانه وتعالى إلى عباده بصفاته، وعجائب مخلوقاته، وكلها تدل على كماله وأنه هو المعبود وحده، لا شريك له في ربوبيته وإلاهيته، وتدل على إثبات الصفات له على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل، وهذا هو الذي

دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وعليه سلف الأمة وأئمته ومن تبعهم بإحسان واقتفى أثرهم على الإسلام والإيمان.

* * *

قال: وروي عن ابن عباس قال: «ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم».

وقال ابن جرير: حدّثني يونس أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: حدّثني أبي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبع ألقيت في ترس».

وقال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ... الحديث».

وعن ابن مسعود قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام ... الخ». أخرجهما ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم بن زر عن عبدالله.

ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبدالله.

قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟» قلنا الله ورسوله أعلم. قال: «بينهما مسيرة خمسمائة سنة...الحديث» رواه أبو داود وغيره.

فيها تصريح بأن الله فوق عرشه كما دلت عليه أيضاً الآيات المحكمات والأحاديث الصحيحة وفي كلام السلف من الصحابة

والتابعين وتابعيهم.

وهذه الأحاديث كأمثالها تدل على عظمة الله وكماله، وعظم مخلوقاته وأنه المتصف بصفات الكمال التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها رسول الله ﷺ، وعلى كمال قدرته وأنه هو المعبود وحده لا شريك له دون كل ما سواه.

هذا آخر ما كتبته مما أردت كتابته وأسأل الله العلي القدير أن يخلص النية وينفع به كافة قارئيه والناظر فيه ومن سعى في نشره.

ووافق الفراغ منه في أواخر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وألف من هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

كتبه فهد بن عبدالله التركي

وهذا الكتاب يحتاج إلى مراجعة فإني كتبته قديماً فيحتاج إلى مراجعة، فأسأل الله أن ييسر ذلك بمنه وكرمه.

حرر في الثلاثاء ٢٢/صفر/ ١٤١٩هـ.



الفهرس



الصف والإخراج الفني

مركز عالم الطباعة

ت : ٤٧٦٠٢٦٦